أكذوبة الحجاب

THE LIE OF THE VEIL



محمد خلاوي

أكذوبة الحجاب

أكذوبة الحجاب

محمد خلاوي

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 2017/26490

I.S.B.N:978- 977-6640-10-8

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

محمد خلاوي

أكذوبة الحجاب



إهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة دون تعصب وتعالي على التعلم ...

إلى كل مؤمن يريد أن يزيد إيمانه أكثر بالله تعالى ....

إلى كل من غابت عنه الحقيقة ولم يدرِ عنها شيئاً ...

المعرفة هي انكشاف للحقائق، تُدعمك بالقوة، وتدفعك دفعاً لقول الحق بشجاعة، وتجعلك تخشى الله تعالى وتحبه، وتبغض الشيطان فتكرهه.

محمد خلاوي

المقدمة

المرأة في عالمنا العربي، أين هي؟!

فأنا أبحث عن حقها المهدور والمهضوم بين رفوف كتب الشيوخ الذين قالوا عنها: أنها عورة! وفي حين أننا نرى العالم اليوم يتقدم أمامنا، ونرى المرأة فيه تتقلد أفضل المناصب لتصل إلى منصب رئاسة الوزراء، في الدول التي سُميت لديهم أنها دول العلمانية والكفر !..

نجد في عالمنا العربي هنا أن المرأة ما هي إلا عورة أُختزل الكلام عنها في شكلها ومظهرها التي ستخرج به على الناس !..

ويا ويلنا إن فكرنا يوماً، أن نتحدث عن هذا اللباس الذي ترتديه هي! فالشيوخ هم وحدهم الذين يقولون: ماذا ترتدي المرأة وماذا لا ترتدي! فإن خالفت قولهم أصبحت هي عاهرة، وتعصي كلام الخالق!

والحق أنه هو كلام الخلق وليس كلام الخالق، حيث أننا في عالمنا العربي والإسلامي خلطنا بين قول الشيخ وقول الإله... وهناك فرقاً كبيراً جداً بين قول الإله وقول البشر.

فالشيخ ليس معه توكيلاً رسمي بأنه يتحدث بإسم الإله، ولا أحد منا يملك هذا التوكيل.

الله كان يرسل علينا الرسل، يُبلغون ما قيل لهم من كلام الرب دون زيادة أو نقصان.

فلماذا يحدث كل هذا الضجيج الزائف عندما تتحدث امرأة عن خلعها ما يسمى اليوم بـ "الحجاب" ؟!

عندما طرحت فكرتي هذه عن "أكذوبة الحجاب" على صفحتي الخاصة على موقع (facebook) انهالت علي الشتائم والسب والقذف والتهديد بالقتل، وسب المحصنات من أهل بيتي!..

كل هذا من أجل ماذا؟! من أجل ما تسموه أنتم بـ "الحجاب"!..

وجعلتم شعاركم في الحياة هو "حجابك عفتك"، اختزلتم مفهوم العفة في قطعة القماش هذه!..

إن هدفي من تلك الكلمات ليست إثارة المشاعر... إنما هدفي هو تحرير فكر المرأة العربية مما علق في ذهنها من موروث ثقافي اعتقدت أنه من الدين بالضرورة. كما قيل لها ذلك من شيوخ الفضائيات!..

وما أطرحه لكم هو تدبري الخاص في موضوع "الحجاب"، وأنا لا ألزم به أحداً على الإطلاق. ولا أدعو المرأة أن تخلع أو تلبس الحجاب، فأنا أطرح فكري الخاص حول هذا الموضوع وفقط...

فالأصل في هذا الموضوع هو الحرية الشخصية، فمن شاءت فلتخلع الحجاب ومن شاءت فلتبس الحجاب.

نعم؛ فالأصل في هذه الحياة هي حرية الإرادة...

قال تعالى: "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..." (الكهف: 29).

وأنا رجل مؤمن بالله؛ مسلم حنيف، لا أفرق بين أحد من رسل الله جميعاً، أؤمن بالغيب (اليوم الأخر، والملائكة العليا "الملأ الأعلى" والملائكة الدنيا)..

وبهذه الكلمات الواضحة الشافية أوضح إنني لستُ من الملحدين ☺

فكلامي عن موضوع "أكذوبة الحجاب"، لا يجعلني خارج دائرة الإسلام، فالمسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده... وأنا أفعل ذلك.

ولكنني في هذا الكتاب أوضح ما جعلوه من الدين بالضرورة،أنه ليس من ثوابت الدين وليس من الدين بالضرورة. بل هو ليس فرضاً في الإسلام أيضاً، إنما هو عادة اجتماعية ظهرت حسب سياق المجتمعات ليس أكثر ولا أقل...

قال تعالى: "..قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (النمل: 64).

فكل ما سأطرحه في هذا الكتاب هو بالدليل والمنطق القرآني ولن أتي بشيء من جيبي لأفسر كيفما أشاء، ولكن كله من كتاب الله...

فهذا الكتاب ليس دعوة مني إلى خلع غطاء الرأس، بل هو دعوة للتفكير والحرية. فلا ينصب أحد نفسه وصياً على الدين، ولا يحتكر الحقيقة لرأيه.

وكما قال ابن النفيس: "وربما أوجب استقصاؤنا النظر عدولاً عن المشهور والمتعارف، فمن قرع سمعه خلاف ما عهده، فلا يبادرنا بالإنكار، فذلك طيش، فرُبَّ شنعٌ حق ومألوفٌ محمودٌ كاذب، والحق حقٌ في نفسه، لا لقول الناس له، ولنذكر دومًا قولهم: إذا تساوت الأذهان والهمم، فمتأخرُ كل صنعةٍ خيرٌ من متقدمها".

محمد خلاوي

مصر – القاهرة – المعادي

السبت: (14 أكتوبر 2017 م – 24 محرم 1439 هـ)

الفصل الأول

منهجي في التدبر

تمهيد للمنهج

ماذا أقصد بكلمة المنهج؟

المنهج: هو الطريق الذي تسلكه لفهم أي مسألة تريدها في هذه الحياة.

هذا باختصار تعريفي لكلمة المنهج. والكتاب يتحدث عن موضوع "الحجاب" وهذا الموضوع يستمد قوته وفرضه على الأنثى من أنه موضوع ديني بحت حيث أن هناك اعتقاد راسخ لدى عامة الناس؛ بأن هذا الموضوع فرض من عند الله وجب الطاعة فيه دون تفكير أو تدبر.

وأنا هنا في هذا البحث أقول: أن الحجاب ليس فريضة من الله، وأن حكمه هو في حكم المباح في هذه الدنيا من فعله لا يثاب عليه ومن تركه لا يعاقب عليه.

كيف يعقل ذلك؟! هل تم تغفيلنا كل هذه السنوات؟

في الحقيقة نعم لقد تم تغفيل عامة الناس في العالم العربي بالتحديد. وكل ذلك بسبب المشايخ والجماعات التي يقال عنها: أنها إسلامية وهي بعيدة كل البعد عن الدين والإسلام.

لقد رأينا كل ذلك في العالم العربي وقد رأيت ذلك في بلدي "مصر" كيف كانت أخلاق الجماعات الإسلامية ومن ينتمي إليها، هي أخلاق لا تمت إلى الدين بصلة، ولكنهم أوهموا الناس بأنهم يتحدثون باسم الإله وأن معهم صكوك الغفران، وأن من

يسمع كلامهم فسوف يدخل الجنة بالتأكيد، ومن يعصي هذا الكلام فمصيره هو النار!..

وهل أنت أيضاً تمتلك الحقيقة المطلقة لتقول لنا: أنك توضح لنا الحقيقة ؟ وكيف تعرف أنك على الصواب؟!

ردي على هذا التساؤل المهم أقول:

-أنا لا أمتلك الحقيقة ولا الحق المطلق فأنا باحث عنها في كل مكان...

-إذن كيف يمكن لك أن تقول لنا أن الحجاب أكذوبة، وأنت أيضاً لا تمتلك الحقيقة كاملة؟!

-يا صديقي الأمر ليس هكذا؛ فأنا كما قال أرسطو: "أتبع الدليل حيثما يقودني"...

والدليل يأتي عن طريق منهج والمنهج هو الكاشف لي كيف تكون الحقيقة على الرغم من أنني لا أمتلكها كلها ولا أدعي ذلك ولكن هذا ما أوصلني له عقلي بالاستدلال المنطقي القرآني..

وعليك أنت أيضاً أن تُعمل عقلك مثلي لتصل إلى الحقيقة. فأنا لستُ كالشيوخ تقول لك: "أغمض عينيك واتبعني!"؛ فهذا ليس منهجي.

فكما قال أبو العلاء المعري: "لا إمام سوى العقل".

وكما قال الشافعي: "قولنا صواب يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب".

وأضيف قول أبي حنيفة النعمان: "قولنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا، فهو أولى بالصواب منا".

منهجية البحث

كيف نُفسر القرآن لنفهم المقصود منه؟

قلنا أن المنهج هو الطريقة، وأنا هنا سأوضح ما هي الطريقة الحديثة المتبعة في تدبر النص القرآني. وأنقل لكم في ذلك قول "ابن كثير" في تفسيره الشهير المعروف باسم "تفسير ابن كثير" فقد قال التالي: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسَّر في موضع آخر"(1).

وأنا أتفق مع ابن كثير في هذا الموضوع جداً؛ حيث أنني سوف أتدبر القرآن بالقرآن وسيكون منهجنا قرآنياً بامتياز.

وهذا الكتاب ليس كتاباً دينياً كما هو المتعارف عليه بين عوام الناس. ولكن نلجأ إلى القرآن لأنه هو المصدر الذي يُقال أنه فرضَ الحجاب على النساء المسلمات في كل زمان ومكان منذ عهد النبي إلى يومنا هذا.

الموضوع ليس صعباً وفي نفس الوقت ليس أمراً سهلاً جداً ولكن هو أمر يحتاج لجهد، وهذا ما قاله لنا النص القرآني وأختزله في المفهوم (أفلا يتدبرون). فالكلمة جاءت من الجذر

---

(1) أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، 1999 م، ج 1، ص 7.

العربي المبين (دَبَرَ) وهذا هو الجذر المكون لهذه اللفظة العربية.

و (دُبر) الشيء: هو أخره. أي المطلوب منا أن نأتي أخرنا في فهم النص القرآني. أي نجتهد ونتعب ونحاول في البحث والفهم ولا نكتفي بما يقوله لنا الآخرون فقط.

وكيف أذن يمكننا أن نفهم هذا النص؟

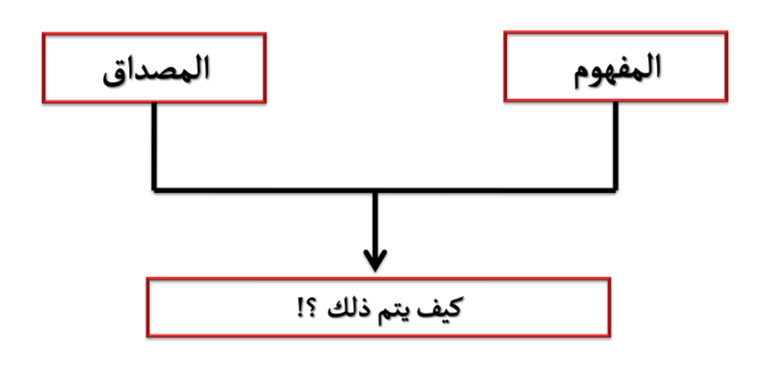
سأطرح لكم المنهج وفلسفتنا في التدبر سريعاً، وسنطبق ذلك على اللفظة المراد تدبرها موضع البحث هذا...

• منهجنا في التدبر هو أن نأخذ الكلمات القرآنية ونرجع بها إلى أصلها اللساني (الجذر)، فكل كلمة في اللسان العربي المبين تتكون من حروف، وهذه الحروف كونت بنية متكاملة أقلها هو حرفين وأكثرها هو ثلاثة حروف. فالجذر العربي هو هكذا أصله إما من حرفين أو ثلاثة حروف فقط؛ ومن هذا الجذر تتشكل كل الكلمات لدينا في العربية.

• وكل حرف من هذه الحروف له دلالة فيزيائية تعطي له معنى ومن جمع الدلالة لهذه الحروف يخرج لنا المعنى النهائي لهذا الجذر.

فالكتاب (التنزيل الحكيم) كله مفاهيم أي أن اللفظة الواحدة فيه هي: (مفهوم) وعاء يحمل الكثير من المعاني والمصاديق في الواقع.

فلسفتنا في التدبر



فلسفتنا في التدبر

مثال



(ح)=
(ج)=
(ب)=

مجموع دلالة هذه الحروف فيزيائياً
= المفهوم المجرد في الذهن

(المفهوم)؛ هو: أفكار مجردة تأتي دلالتها من دلالة الحروف الرمزية المكتوبة.

(المصداق)؛ هو: تنزيل هذا المفهوم على الواقع في هيئة مسميات تُعبر عن صفات ما تم تسميته في الواقع.

وهذا ما سأفعله معكم في هذا البحث سنحلل الألفاظ الواردة في نصوص التنزيل الحكيم التي تخص موضوعنا العام.

تشريع حدود لباس المرأة

دعونا نتفق على أن إي تشريع (حلال وحرام)؛ لا بد أن يكون من عند الله تعالى، ولا يكون من غيره وبالتحديد في موضوع التحريم. ونحن نتبع الشريعة المحمدية – أي التشريع الذي نزل على آخر الأنبياء وهو النبي محمد – ولا نتبع الشرائع الأخرى التي جاءت من قبلنا؛ فشرع من قبلنا ليس شرعٍ لنا إن لم يأتِ عليه نص في التنزيل الحكيم يشرعه من جديد.

إذن التحريم يأتي من خلال نص واحد وهو التنزيل الحكيم -المصحف- الذي أُنزل على قلب النبي محمد. فهو النص الوحيد والأوحد الذي نعتمد عليه في التحريم؛ ولا يوجد نص آخر يُحرم أي شيء من خارجه، لأن هذا كلام الله وما دونه هو كلام البشر.

والأصل لنا أن نتبع التشريع الإلهي وليس ما يحرمه البشر. والمحرمات محدودة جداً جاءت كلها في التنزيل الحكيم؛ وقد جاءت قبلها لفظة التحريم لتبين لنا أن ما سيأتي بعده هو محرم من عند الله تعالى وليس من قبل البشر.

وفي موضوعنا هذا الذي نطرحه وهو (لباس المرأة)؛ علينا أن نرى ماذا قال لنا التنزيل الحكيم في هذا الموضوع. وما هي الضوابط التي وضعها للمرأة في شكل اللباس التي ستلبسه.

وكل ما جاء لنا في هذا الموضوع بالتحديد عن موضوع الحجاب الذي يزعمون أنه فُرض على المرأة أن تلبسه وتغطي به شعرها أو بالتشدد أيضاً أن تغطي وجهها وكل ما ظهر منها!..

• فكل ما جاء في التنزيل الحكيم هذه النصوص حصراً:

قال تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)} (النور).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) } (الأحزاب).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (59) } (الأحزاب).

فهذه ثلاث آيات في التنزيل الحكيم يستندون عليها لفرض ما يعرف اليوم بالحجاب أو النقاب على المرأة لكي تلبسه وهي خارجة من بيتها، أو عندما يكون هناك ذكر غريب عنها.

وهنا يحدث الخلط والتدليس على الناس حيث أن لفظة الحجاب يؤتى بها لتحل محل ما ذُكر في (آية النور: 31)؛ من لفظة الخمار، فكيف تكون لفظة "الخمار" هي نفسها لفظة "الحجاب".

وهذا أول خطأ علينا توضيحه للناس؛ وذلك بناء على قاعدة نستخدمها في منهجنا عند التدبر وهي: إذا أختلف المبنى أختلف المعنى. والمبنى هنا المقصود به: هي اللبنات التي تتكون منها اللفظة ومن ثم الجملة.

بمعنى لا يجوز أن نبدل لفظة مكان لفظة في التنزيل الحكيم؛ ونقول لا ضرر من ذلك!..

في الحقيقة أنا أقول أن هذا هو كل الضرر الذي نحن نتعرض له بسبب خلط الأمور على بعضها. بحجة ما يعرف في اللغة بالترادف. ففي منهجنا هذا لا وجود للترادف في التنزيل الحكيم؛ فكل لفظة هي مفهوم قائم بذاته له معنىً مختلف عن المفهوم الآخر في التنزيل الحكيم.

إذن أول شيء علينا فعله هو تفكيك هذه النصوص القرآنية وتحليل ألفاظها كل لفظة على حِدتِها.

الفصل الثاني

الخطاب في آية الأحزاب

مفهوم (الحجاب) في التنزيل الحكيم

يقول الفلاسفة: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"...

ولكي نحكم ونقول قولنا في موضوع الحجاب علينا أن نتصوره ونفهمه جيداً؛ ولكي نتصوره علينا أن نُعرف كل مفهوم يأتي أمامنا في هذا الموضوع. وأول هذه المفاهيم هو مفهوم "الحجاب".

ماذا نقصد عندما نقول لفظة الحجاب؟!

استمدت هذه اللفظة معناها في الواقع المعاصر الآن ممن تكلموا في هذا الموضوع من المعاصرين. فخلطوا الأوراق على بعضها وجعلوا لفظة الحجاب كلمة تدل على كل شيء يوضع على رأس المرأة.

وضيقوا الموضوع أكثر على المرأة فقالوا أن هذا الحجاب له مواصفات كثيرة يجب أن تلتزم به المرأة المسلمة وإلا لن يكون هذا هو "الحجاب الشرعي!" الذي يجب أن ترتديه المرأة على رأسها.

ومنهم من ضيق الموضوع أكثر فجعل الحجاب هو كلمة تدل على النقاب الذي من خلال لبسه: تغطي المرأة به وجهها ولا يظهر منها شيء إلا عينها ومنهم من قال حتى العين تُعتبر عورة!..

وهكذا حتى جعلوا من المرأة مجرد قطعة قماش تتحرك على الأرض ولا يظهر منها شيء ، فقالوا عنها أنها الجوهرة المكنونة

وأنها كالمصاصة التي إذا أنكشف منها شيء هجم عليها الذباب الملوث !..

وأشياء كثيرة عجيبة من هذا القبيل ليلقوا في الأخير اللوم عليها وأنها السبب دائماً في أحداث التحرش؛ لأنها تكشف زينتها وأنها لا تتحجب الحجاب الشرعي الذي يسترها ولا يجعل منها مطمعًا لكل متحرش.

والواقع يقول عكس ما يزعمون هم، فالواقع نطق كلمته عندما نجد أن المتحرش لا يُفرق بين محجبة وغير محجبة كما قال بعض الشيوخ المتشددين: أن سبب التحرش هو المرأة غير المحجبة.

فالتحرش: ظاهرة مجتمعية خطيرة ظهرت بقوة وعنف شديد في السنوات الماضية وبالتحديد أنا أتكلم عن بلدي مصر. وموضوع التحرش له عوامل كثيرة بعيدة كل البعد عن موضوع الحجاب، وعن أن المرأة الغير محجبة هي أكثر عرضة للتحرش فهذا غير صحيح بالمرة.

وهذا دعاني أن أوضح المفاهيم والمعاني الصحيحة في هذا الموضوع الهام الذي يتعلق بالمرأة.

فدعونا ننظر ماذا تعني لفظة الحجاب ؟

يقول الدكتور "أحمد الطيبب" شيخ الأزهر الحالي في تعليقه على (سورة الأحزاب: آية رقم 53) التالي: " كلمة حجاب هي اللعب عليها، كلمة حجاب في القرآن لا تعني ما نتحدث، بل تعني ستارة؛ ومن هنا هو خاص بنساء النبي ونساء المؤمنين لا

يلزمهم هذا... إذن الحجاب في الآية هو الستار من وراء ستار، وهذا هو خاص بنساء النبي فقط فالسياق كله ورد في بيوت النبي، والنقاب ليس فرضاً"(1).

وهذا الكلام الذي قاله شيخ الأزهر الحالي هو ما توصلت له في بحثي هذا... والذي عندما قلته أنا لبعض الناس فقد تم تكفيري بسببه!..

وبذلك شيخ الأزهر يتوافق مع ما قلته أنا في هذا البحث على الرغم من أنه لا يعترف بشكل صريح وواضح بكل ما قلته، ولكن هذه خطة جيدة أن يقول ذلك الكلام.

والآن سأستخدم المنهج القرآني الحديث الذي تحدثت عن جزء منه في الفصل السابق لمعرفة من أين أتيت بهذا المعنى لفظة الحجاب؟.

أتت هذه اللفظة من الجذر اللساني العربي؛ الثلاثي، (حَجَبَ).

وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (8 مرات) فقط؛ وهم كالتالي بالعدد: بِالْحِجَابِ (1) حِجَابًا (2) حِجَابٌ (2) حِجَابٍ(2) لَمَحْجُوبُونَ (1)

---

(1) قال هذا الكلام في برنامج له بعنوان "الإمام الطيب" على قناة (cbc)، كانت الحلقة بعنوان "حجاب المرآة ج1" الحلقة الحادية و العشرون. حلقة بتاريخ 16 – 6 – 2017 م ، رمضان 1438 هـ .

دعونا نلقي نظرة على المعنى المقصود للفظة الحجاب في بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة (1) (لأبن فارس) (متوفى 395 هـ): قال:

(حجب): الحاء والجيم والباء أصل واحد، وهو المنع. يقال حجبته عن كذا، أي مَنعتُه.

والحاجبان العظمان فوق العينين بالشّعر واللحم. وهذا على التشبيه، كأنهما تحجبان شيئاً يصل إلى العينين.

• وفي معجم لسان العرب(2) (لأبن منظور) (متوفى 711 هـ): قال:

(حجب): الحِجابُ: السَّتْرُ... وامرأَة محجُوبةٌ: قد سُتِرَتْ بِسِترٍ.

وحَجَبَه: أَي مَنَعَه عند الدخول. والحجاب: اسمُ ما احْتُجِبَ به، وكلُّ ما حالَ بين شيئين: حِجابٌ. وكُلُّ شيءٍ مَنَع شيئاً، فقد حَجَبَه.

• وفي مفردات ألفاظ القرآن(1) (للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ): قال:

---

(1)أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م، ج 2، ص 143 .

(2)محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر – بيروت، ج 1، ص 298 .

الحَجْبُ والحِجابُ: المنع من الوصول. والحَاجِبُ: المانع عن السلطان.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ح – ج – ب) فيزيائياً (2):

(ح): صوت يدل على إحاطة و تأرجح شديد أو سعة محددة.

(ج): صوت يدل على جهد و شدة وعلى الغلظة.

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(حَجَبَ): لفظة تدل على الإحاطة بالشيء وتوسع محدود، ثم جهد شديد، منتهي بنقل الحركة إلى نقيضها.

وإذا أدخلنا حرف (الألف) بعد (الجيم)، لتكون الفعل الرباعي (حجاب)؛ فيكون المعني كالتالي:

(ألف المد/آ): صوت يدل على إثارة وامتداد في الزمان والمكان.

(حَجَابَ): لفظة تدل على الإحاطة بالشيء وتوسع محدود، ثم جهد شديد، يعقبها إثارة وامتداد في الزمكان، ينتهي بنقل الحركة إلى نقيضها.

---

(1)الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط 4، دار القلم – دمشق، 2009م، ص 219 – 220 .

(2)هذه الدلالة جديدة في منهج التدبر والفائدة منها أنها تزيد المعنى إيضاحاً مع المعنى اللغوي الذي تحدث عنه أصحاب معاجم اللغة قديماً. ولمن يسأل من أين أتى هذا المعنى الفيزيائي للحروف؟ أقول له الموضوع طويل ويحتاج لشرح نشرته في كتاب لي يتحدث عن منهج التدبر الحديث بشكل مفصل.

إذن؛ تبدأ الحركة بمحاولة الإحاطة بما حولها فتتوسع بشكل محدود، محاولة أن تفعل ذلك بكل الجهد الشديد، مما يؤدي ذلك إلى الإثارة والامتداد في الزمان والمكان، ولكن سرعان ما ينتهي ذلك ويؤدي إلى رجوع الحركة إلى نقيضها أي حالة الخمول.

ونحن إلى اليوم نقول مثلاً: سوف نحجب كل المواقع الإباحية عن الأطفال والشباب. ونحن نقصد هنا أننا سوف نمنع الأطفال والشباب من الوصول إلى هذه المواقع بمنعها من داخلها بحيث تُصبح غير مرئية في ذاتها، حتى لو فتح الموقع سوف تظهر له شاشة منع وعدم اتصال بالانترنت. وهذا هو الحجب.

وهذا ما تُحدثنا عنه الآية:

قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ...(53) } (الأحزاب).

إي؛ يتم السؤال من وراء مانع، يمنع الوصول لهم بالرؤية ولكن يمكن سماعهم وطلب الشيء الذي يريده الشخص. (أنظر الصورة رقم 1)

وعلى هذا المعنى للفظة "حجاب" قد أتت هذه الآية:

قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم (51) } (الشورى).

وسيقول لنا قائل أذن علينا أن نتحدث مع كل النساء من وراء حجاب – ساتر – كما قالت لنا الآية ؟

أقول له لا يا صديقي هذه الآية تاريخية جاء حُكمها لنساء النبي فقط وليست لكل نساء العالم في الوقت الحالي، فهذه الآية من القصص المحمدية محكومة بزمان النبي فقط.

قال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ... (32) } (الأحزاب).



(صورة:1): صورة توضح شكل الحجاب الذي يمكن أن يكون بين الناس حين التحدث إليهم.

إذن؛ النتيجة النهائية لهذه الفقرة، هو أن لفظة (الحجاب) تختلف عن لفظة (الخمار)، وهي أتت في النص القرآني بمعنى المنع من الوصول إلى الشيء. فلفظة (الحجاب)؛ ليست هي الغطاء الذي يوضع على الرأس وإنما الحجاب قد يكون ستارة على شباك الغرفة، أو حائط بين الغرفة والغرفة فهذا يسمى (حجاب). فكل شيء يمنع الوصول إلى شيء آخر يسمى ذلك بـ (الحجاب).

النقاب ليس حرية شخصية

لقد فرقت في الفقرة السابقة أن مفهوم الحجاب في القرآن يختلف تماماً عما نطلق عليه اليوم حجاب شرعي في واقعنا المعاصر. وقد وضحت هذا بالدليل القرآني والمنطقي.

سيقول قائل: ولكن هناك حديث يقول التالي: حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد قال: يعقوب بن دريك. عن عائشة رضي الله عنها: (أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه)(1).

وتعليقي على هذا الكلام أنه ليس بحديث ولم يقل النبي هذا الكلام أصلاً، ففي ذلك يعلق أبو داود نفسه في كتاب ويقول التالي: "هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها"(2).

---

(1) سنن أبي داوود، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، حديث رقم(4104).

(2) حديث مرسل أي سنده منقطع فهناك خلل في سند الحديث وبذلك يكون الحديث ضعيف أي مكذوب على النبي فهو لم يقله.

فبذلك يتم إبطال حجة من يقول: أن الحديث موجود وهو تشريع للبس المرأة فلقد أثبتنا بذلك أنه حديث ضعيف ولم يقله النبي.

بالإضافة لذلك قلت كثيراً: أن التشريع بالحلال والحرام لا يأخذ إلا من خلال التنزيل الحكيم – أي القرآن – ولا يأخذ من كتاب آخر. فهو النص الوحيد الذي نعتمد عليه في التشريع الإلهي.

أما بالنسبة لقضية النقاب فهو ليس حرية شخصية؛ لأننا قد نسمع أن من حق المرأة على الأقل أن تلبسه من باب أنه حرية شخصية حتى لو لم يكن هو أمر من الله تعالى!..

وفي ذلك أقول هو ليس حرية شخصية؛ لأن ضرره أكثر من نفعه، لأن المرأة التي تلبس هذا اللباس لا يبين منها شيء فبذلك لا نستطيع أن نتعرف على هوية من يرتدي هذا اللباس الغامق المبهم.

نعم، من حقها أن ترتدي هذا اللباس في شقتها، مكان مسكنها، أو في أماكن ضيقة جداً لمن يعرفها جيداً. ولكن ليس من حقها أن تلبسه في أماكن العمل أو الأماكن العامة.

فلو كانت هي دكتورة جامعة أو مُدرسة وتتعامل مع الطلاب، فكيف سيتم التواصل بينها وبين الطلاب في مكان التدريس الجامعي أو المدرسي؟!

بالإضافة إلى أن هذا اللباس بسببه يُرتكب أكبر الجرائم البشعة في المجتمعات اليوم، لأن من خلاله يمكن لمن يلبسه

سواء ذكراً أو أنثىً أن يتخفى به، ويرتكب الجرائم كعمليات السطو المسلح أو الخطف وغيرها من الجرائم البشعة التي تهدد أمن المجتمع. وهذا الأمر يكون ضد مقصد الدين فالدين ليس مظهراً من مظاهر التطرف بل هو به سعة كبيرة للناس فالدين يسر وليس عسر.

ومن هذا المنطلق أطالب الدولة المصرية بأن تُصدر قانوناً يمنع ارتداء النقاب في الأماكن العامة، ومن يرتدي هذا النقاب يُفرض عليه غرامة مالية.

والدولة الحديثة من حقها أن تفعل ذلك حفاظاً على الأمن العام من الضرر، ونحن بذلك لا نمنع الحرية الشخصية. فالحرية عندي هي: "قول وفعل ما لا يضرُّ بأدب".

وفي لبس النقاب كما وضحت أرى أن فيه ضرراً كبيراً على المجتمع المصري والعربي والمجتمعات في العالم كله.

مقام الرسول و النبي

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (59) } (الأحزاب).

- هذه الآية صريحة وتقول أنه: يجب على النساء أن تدني عليها من جلبابها، وبذلك يكون هذا أمر من الله بالتغطية، ما رأيك الآن؟!

يا صديقي الأمر لا يؤخذ هكذا!..ومن قال لك أنها صريحة؟!

أولاً: الآية لم تأتِ بذكر كلمة تغطية رأس المرأة بشكل واضح وصرح كما تزعمون أنتم!..

ثانياً: حسب منهجنا الحديث في التدبر علينا أن نفكك مفاهيم الآية واحدة تلو الأخرى لكي نفهم ماذا تعني بالتحديد.

ثالثاً: علينا أن نفهم أن الآية معللة في نهاياتها بسبب، فإذا أنتفت هذه العلة انتفى الحكم أياً كان ما هو...

الآية هذه تبدأ بالنص التالي: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل...}.

مفهوم خطاب (يا أيها النبي):

ينبغي أن نُفرّق في الخطاب بين خطاب مُوجَّه لمقام الرسالة، وآخر مُوجَّه لمقام النُّبُوَّة، وذلك لأن خطاب الرسالة إنما هو أوامر وتشريعات إلهية، بينما خطاب النُّبُوَّة هو توجيه، وتعليم، ويظهر الفرق بينهما من سياق الخطاب.

إذاً: مقام الرسالة مقام تكليف، وتلاوة، وتبليغ للرسالة الإلهية، أمَّا مقام النُّبُوَّة: فهو مقام علْم ومعرفة، يقتضي التعليم والتوجيه للأحسن في الواقع.

فأيّ خطاب يأتي مُوجَّهاً إلى مقام النُّبوَّة، يكون خطاباً تعليمياً، وتوجيهياً للأحسن، والأفضل، والحلّ الأمثل للظرف الراهن، وليس تشريعاً.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ... (59) } (الأحزاب).

ففي هذا الخطاب الذي يبدأ قوله بـ "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ": هو خطاب تعليمي، وتوجيهي، وليس خطاباً تشريعياً.

فالنبي في مقام العالم المؤهل لقيادة الناس والعناية بهم، والصلة بينه وبين الله مستمرة لا تنقطع عن طريق الوحي.

وعلينا أن ننتبه إلى أن النبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، وإنما أضافت له مقاماً علمياً، وعندما صار النبي رسولاً، لم ينتف عنه صفة البشرية، ووظيفة النبوة، وإنما أضيف له مقام الرسالة، مع الحفاظ على الصفات البشرية، والنبوية.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ... (110) } (الكهف).

فالرسول إذا فرغ من تلاوة الرسالة، وعملية التبليغ، ينتهي دوره كرسول، ويبدأ دوره كنبي يقوم بالتفاعل مع الرسالة التي أنزلها الله، كونه أول المكلفين بها عملاً، ويدعو الناس إليها، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... (2) } (الجمعة).

مقام النبوة متعلق بحياة النبي:

وهذا التفريق بين مقام النبوة، ومقام الرسالة يوصلنا إلى أن مقام النبوة مرتبط بشخص النبي نفسه، وبالتالي يفقد مقام النبوة فاعليته بموت النبي مثل النبي هارون، بينما مقام الرسول صاحب الرسالة مرتبط بالرسالة، فإن مات الرسول لا تتأثر الرسالة لاستمرار وجودها وفصلها عن شخص الرسول. مثل الرسول موسى والصحف التي نزلت عليه.

فيكون المجتمع الأول الذي عاصر نزول الرسالة علاقته مع مقام النبوة، ومقام الرسول معاً. أما المجتمعات اللاحقة فعلاقتها مع الرسالة فقط دون النبوة، لموت صاحبها، فالنبوة خاصة، ومرتبطة بالزمان والمكان، أما الرسالة فهي عامة مستمرة بعد موت النبي صاحب الرسالة.

وبهذا يكون هذا الحديث المنسوب للنبي صحيح، الذي قال فيه: (أطيعوني مادُمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرمه حرامه)(1).

وبذلك نستطيع القول: (إن نبوة محمد لقومه، ورسالته للناس جميعاً).

قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.. (158) } (الأعراف).

---

(1) مسند أحمد 6381 / وصححه الألباني في صحيحة تحت رقم 1472 .

خلاصة القول في هذا الأمر أني أقول أن الخطاب جاء موجه إلى النبي وهذا تم توضيحه في أول النص القرآني، والنبي من حقه الاجتهاد في الواقع المعاش، حسب فهمه هو للآية من خلال احتكاكه بواقعه هو، فهذا الاجتهاد ليس مُلزماً للأزمنة القادمة من بعده فقد يختلف هذا الاجتهاد من عالم إلى آخر حسب اختلاف الزمان والمكان.

فالآية تتحدث عن عملية الإدناء من الجلباب ولم تُفصل شكل هذا الإدناء فهذا متروك لاجتهاد المجتهد الذي يقرأ النص بعيون المتدبر الواعي. والنبي حين جاءه هذا الخطاب جاء بصفته نبي مُجتهد سيطبق النص حسب ما يراه من وقع مُعاش.

فالآن في واقعنا المعاصر هذا قد يكون الجلباب أي شكل من أشكال لباس المرأة، وقد يختلف من بلد إلى أخرى حسب العادات والتقاليد فقط. فالأمر ليس له علاقة بالدين أو تشريع إلهي.

وهذا ما سنوضحه أكثر في الفقرات القادمة من الكتاب..

مفهوم (دنا) و (جلب) في النص

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ... (59)} (الأحزاب).

ما هو الإدناء من الجلباب التي تقصده الآية هنا؟

لنعرّف ذلك بشكل واضح وسليم علينا أن نُفكك الألفاظ كما قلنا من قبل حسب منهجنا الحديث في التدبر.

مفهوم لفظة (يُدْنِينَ):

أتت هذه اللفظة من الجذر اللساني العربي؛ الثلاثي، (دنا).

وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم (133 مرة) تقريباً؛ وهم كالتالي: أَدْنَى (9) الأَدْنَى (2) الدُّنْيَا (115) دَانٍ (1) دَانِيَةٌ (2) دَنَا (1) وَأَدْنَى (1) وَدَانِيَةً (1) يُدْنِينَ (1)

دعونا نلقي نظرة على المعنى المقصود للفظة في بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة[1] (لأبن فارس) (متوفى 395 هـ)؛ قال:

(دنى): الدال والنون والحرف المعتل أصلٌ واحد، يُقاس بُعضه على بعض، وهو المقارَبَة.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 303 .

• وفي مفردات ألفاظ القرآن(1) (للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

(دنو): الدُّنُوُّ: القُرْبُ بالذَّاتِ، أو بالحُكْمِ، ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة.

• وفي معجم لسان العرب(2) (لأبن منظور) (متوفى 711 هـ)؛ قال:

(دنا): دَنا الشيءُ من الشيءِ دنُوّا ودَناوَة: قَرُبَ.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (د – ن – آ) فيزيائياً:

(د): صوت يدل على دفع شديد متوقف.

(ن): صوت يدل على ستر أو اختباء أو سكون.

(آ): صوت يدل على إثارة وامتداد في الزمان والمكان.

(دنا): لفظة تدل على الدفع الشديد، يتوقف بالستر والسكون، ثم ينتهي بالامتداد في الزمان والمكان.

(يدنين): لفظة تدل على خروج ووضوح شيء، يعقبها دفع شديد، يتوقف بالستر والسكون، ثم بخروج ووضوح الشيء، وينتهي بالستر والسكون.

---

(1) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 318 .

(2) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 14، ص 271 .

إذن اللفظة تدل على أن هناك شيئاً كان خارجاً وواضحاً، توقف هذا الوضوح بالستر والسكون. وهذا ما تقصده اللفظة بمعنى "القرب". وسيتضح المعنى حين نفهم معنى "جلب".

مفهوم لفظة (جَلَابِيبِهِنَّ):

أتت هذه اللفظة من الجذر اللساني العربي: الثلاثي، (جَلَبَ).

وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم (مرتان) فقط؛ وهم كالتالي بالعدد: جَلاَبِيبِهِنَّ (1) وَأَجْلِب (1)

فدعونا نلقي نظرة على المعنى المقصود للفظة في بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة(1) (لأبن فارس) (متوفى 395 هـ)؛ قال:

(جلب): الجيم واللام والباء (أصلان): أحدهما الإتيان بالشيء من موضعٍ إلى موضع، والآخر شيءٌ يَغشَّي شيئاً.

• وفي مفردات ألفاظ القرآن(2) (للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

(جلب): أصل الجَلْب: سَوق الشيء. والجَلابيب: القمص والخُمر، الواحد: جلباب.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 469 .

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 198 – 199 .

• وفي معجم لسان العرب(1) (لأبن منظور) (متوفى 711 هـ)؛ قال: (جلب): الجَلْبُ: سَوْقُ الشيء من موضع إلى آخَر. الجلباب: القَمِيصُ. هو ثوب واسِع. وقيل: جلبابُ المرأة مُلاءَتُها التي تَشْتَمِلُ بها.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ج – ل – ب) فيزيائياً:

(ج): صوت يدل على جهد أو شدة.

(ل): صوت يدل على جمع متصل ينضم ويتداخل ويتكامل في أطار واحد.

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(جلب): صوت يدل على جهد وشدة، يتبعه جمع متصل ينضم ويتداخل ويتكامل في أطار واحد، وينتهي إلى الانتقال إلى نقيضه الأول.

الإدناء من الجلباب:

قال تعالى: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.. (59) } (الأحزاب).

أذن من خلال تفكيكنا للنص وفهم لفظة (يُدْنِينَ) ولفظة (جَلَابِيبِهِنَّ) يتضح لنا التالي:

(1) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 1، ص 268 – 273 .

أن مفهوم الجلباب ليس بالضرورة أن يكون هو المفهوم الشائع بين الناس على أنه لباس طويل يكون من الكتفَيْن إلى الكعبَيْن. كما هو موضح في (صورة: 1).



(صورة: 1): صورة توضح الحد الأقصى للإدناء من جلباب المرأة. وهو الشكل السائد بين الناس اليوم وفي مخليتهم أنه هو الشكل التى يجب أن تكون عليها المرأة المسلمة !..

فهذا الشكل هو أحد الصور المستخدمة؛ فالرجل له لباس طويل من الكتفين إلى نصف الساقين، ويسمى (جلابية)،

وكذلك النساء لهنَّ اللباس نفسه، ويسمَونه (الجلابية) بغَضَّ النظر عن الاختلاف في الأطوال. (للتوضيح أنظر صورة: 2).



(صورة: 2): صورة توضح شكل من أشكال الجلابية لدى الرجل والمرأة. التى تصل فيه الجلابية إلى ركبة الرجل أو المرأة.

فالجلباب من خلال دلالة كلمة (جلب) في الأصلين للكلمة، يكون لباساً خارجياً يُسدَل على الملابس الداخلية، ويُغطّيها بشكل جيد، من الكتفَيْن إلى تحت الركبتَيْن إلى أن يصل إلى الكعبَيْن.

أمَّا دلالة كلمة (يُدْنِينَ)؛ فهي تدلّ – بجانب دلالة كلمة (جلب) – إلى الزيادة في التغطية عن الحدّ الأدنى، الذي تم

ذكره في (سورة النور: 31). فيقمنَ بجلب غطاء يغشي ثيابهنَّ الداخلية، يتجاوز في طوله الحدَّ الأدنى، وعملية الدُّنُو بلباس الجلباب ترجع إلى المجتمع، ووعيه الثقافي، وآدابه، وأعرافه.

حيث أن الذي يمكن أن تلبسه المرأة وهي في بلد مثل "فرنسا" غير الذي يمكن أن تلبسه وهي في بلد مثل "المملكة العربية السعودية"؛ فالأعراف فكل بلد منهما تختلف عن الأخرى ولبس المرأة يرجع فيه إلى حكم العادات والتقاليد والعرف المجتمعي.

حيث أن: إذا خرجت المرأة وهي تلبس الحد الأدنى الذي تم ذكره في (سورة النور: 31)، في بلد مثل "المملكة العربية السعودية"، فهذا قد يُعرضها للأذى البدني والنفسي، وهذا هو ما قاله عنه النص الذي نحن نتدبره الآن (سورة الأحزاب: 59).

حيث علل النص الحكم بهذا المقصد وقال: { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.. (59) } (الأحزاب).

فالتعليل واضح وصريح في النص وهذا هو سبب الإدناء للمرأة من جلبابها، وهذا الإدناء يتعدى الحد الأدنى إلى ما هو أعلى من ذلك كما قلنا من قبل.

فالجلباب هو كل لباس يُغطّي الحدّ الأدنى – الذي تم ذكره في (سورة النور: 31) – فوق الثياب الخاصة، وهو لباس قد يكون مؤلّف من قطعة واحدة أو أكثر؛ فلذلك يُطلَق عليه اسم

القميص. فالجلباب بالحدّ الأدنى، يبدأ من أعلى الكتفَيْن إلى نصف الفخذَيْن تقريباً.

وحد لباس المرأة عام لكل المجتمعات الإنسانية، وللمرأة صلاحية أن تزيد بطوله سواء في الأكمام باليدَيْن، أم إطالة إلى الأسفل من تحت الركبتَيْن، فما دون، إلى أن يصل إلى الكعبَيْن. (للتوضيح أنظر صورة: 3).



(صورة: 3): صورة توضح أشكال جلباب المرأة المختلفة التي يمكن أن تدنيها عليها.

فأيّ شكل اختارت المرأة من الحدّ الأدنى، إلى ما بعده من جسمها، يسمَّى قميصها جلباباً. وشكل اختيار اللباس –

الجلباب– راجع إلى الأعراف والتقاليد، ومقام المرأة في المجتمع، ووظيفتها التي تقوم بها.

وليس المقصود في النصّ القرآني هو الجلباب بعينه؛ أيْ ليس الشكل؛ لأن التشريع قائد على المقصد أصلاً، فأيّ لباس يُحقِّق للمرأة مضمون الجلباب من الحماية، والسّتر، والحفظ، وحرية النشاط الاجتماعي، والبيئي، فلها أنْ تلبسه؛ ولا حرج عليها أبداً.

ونكرر على أن هنا في سورة الأحزاب له مقصد وهو ضمان حماية المرأة في المجتمع الذي تعيش فيه؛ فإذا ضمنت الحماية وعدم الضرر فلها أن يكون اللباس بالحد الأدنى ولا تدني عليها من جلبابها أزيد من الحد الأدنى.

وكل ذلك يوضح لنا أيضاً؛ أنه لا وجود لدلالة قطعية على وجوب تغطية رأس المرأة، أو الشعر في النصّ القرآني.

الفصل الثالث

خطاب آية النور

مدخل لابد منه

قال تعالى: { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) } (النور).

هذا هو النصّ الوحيد في تشريع حدود لباس المرأة، وبيان أحكام ظهور زينتها بالنسبة للرجال.

والمدقّق في هذا النصّ لا يجد ذِكْر كلمة الرأس، أو الشعر، مستخدمة، مما يؤكّد انتفاء الدلالة القطعية على وجوب تغطية الرأس، أو الشعر.

ولذلك وجب علينا تفكيك مفاهيم النص، لمعرفة ماذا يقصد النص من هذا الخطاب الموجه لنا ؟..

سوف أفكك الآية لتحليل أهم الألفاظ القرآنية التي وردت في الآية والتي ستخدمنا في بحثنا الكلي هذا..

{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ:

1- يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ

2- وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

3- وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

4- وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ

5- وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ

6- وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

الغض من البصر

لقد جاء الأمر مشترك للمؤمن والمؤمنة على حد سواء بشيئين أولهما الغض من البصر.

قال تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ..(30)} (النور).

قال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ..(31)} (النور).

- فما هو الغض من البصر المقصود في الآية ؟

لقد فرق النص القرآني بين لفظة (النظر) ولفظة (البصر)؛ فما الفرق بينهم أذن ؟

قال تعالى: { وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) } (الأعراف).

فالجذر اللساني للفظة (نظر)؛ تعني: "النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنى واحد، وهو تأمُّلُ الشّيْءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظُر إليه، إذا عاينْتَه"[1].

والجذر اللساني للفظة (بصر)؛ تعني: "الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العِلْمُ بالشيء؛ والبصيرة: البُرهان. وأصل ذلك كله وضوح الشيء.

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 444 .

وأما الأصل الثاني فبُصْر الشيء غلَظُه"[1].

فالنظر يكون بالعين المجردة في جسد الإنسان بلمح ما حوله، والبصر يكون من خلال النظر وهو إدراك ما نظر إليه من خلال علمه به فالعلم يأتي بإدراك الشيء أولاً..

لنفهم الآن معنى الغض، والجذر اللساني للفظة (غض)؛ تعني: "الغين والضاد أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كفٍّ ونَقْص، والآخر على طراوة. وكل شيء كففته فقد غضضته. والغضغضة: النُّقْصان. والأصل الآخر: الغَضُّ: الطريُّ من كلِّ شيء"[2].

وجاء حرف الجر (من) للتبعيض أي جزء من كل، فأمرنا الله الغض من البصر، وليس غض البصر كله.

والمقصود من الآية هنا؛ هو أن الذكر أو الأنثى يغضوا أي يكفوا عن إدراك بعض الأشياء في الإنسان الذي أمامهم. فلا يتخيل الذكر مثلاً عندما يرى الأنثى بعض الأشياء عنها عندما ينظر لها بعينه.

مثال للتوضيح: لو دخل ذكر بنكاً ليقضي معاملته البنكية ووجد الموظف هي أنثى وهي محجبة أيضاً ولبسها واسع ولا يوجد بها أي شيء يثير الشهوة – كما هم يقولون عن التي بلا حجاب ! – ونظر لها وتحول النظر لبصر – أي أدركها – ثم بدأ

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 253 – 254 .

(2) نفس المرجع رقم (1)؛ ج 4، ص 383 .

يتخيلها في مواضع جنسية داخل ذهنه، فهذا هو المنهي عنه لأنه جعل إدراكه بها في أماكن غير موضعها، فجاء النص ليقول لك غض – أي كُف وأنتهِ عن ذلك – من هذا الإدراك السيئ.

وهذا المثال ينطبق على الأنثى أيضاً؛ فعندما تُفكر في الذكر بنفس طريقة التفكير هذه فهذا منهي عنه. وعليها أن تغض من بصرها أيضاً..

ولذلك جاء النص بعد ذلك يأمر بـ (حفظ الفرج).

قال تعالى: { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ...(30) } (النور).

قال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...(31) } (النور).

وكان هذا هو الأمر الثاني المشترك للمؤمن والمؤمنة على حد سواء.

(الزينة) في التراث الإسلامي

في هذه الفقرة سأذكر لكم بعض مما قيل في التراث الإسلامي عن مفهوم (الزينة) الذي ذُكر في الآية المراد تدبرها.

"الرازي" في تفسيره الشهير بـ "تفسير الرازي أو التفسير الكبير"؛ قال: "اختلفوا في المراد بزينتهن، واعلم أن الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى سائر ما يتزين به الإنسان من فضل لباس أو حلي وغير ذلك، وأنكر بعضهم وقوع اسم الزينة على الخلقة، لأنه لا يكاد يقال في الخلقة إنها من زينتها. وإنما يقال ذلك فيما تكتسبه من كحل وخضاب وغيره، والأقرب أن الخلقة داخلة في الزينة" (1) .

ثم أضاف قائلاً: "اختلفوا في المراد من قوله (إلا ما ظهر منها)، أما اللذين حملوا الآية على الخلقة، فقال القفال: معنى الآية إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية، وذلك في النساء الوجه والكفان، وفي الرجل الأطراف من الوجه واليدين والرجلين، فأمروا بستر ما لا تؤدي الضرورة إلى كشفه ورخص لهم فيكشف ما أُعتيد كشفه وأدت الضرورة إلى إظهاره إذ كانت شرائع الإسلام حنيفية سهلة سمحة"(2) .

---

(1) محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط 1، دار الفكر – بيروت، 1981 م، ص 206 .

(2) محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ص 206 – 207 .

وأضاف قائلاً: "اتفقوا على تخصيص قوله (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) بالحرائر دون الإماء، والمعنى فيها ظاهر، هو أن الأمة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها، وذلك لا يمكن إلا بالنظر إليها على الاستقصاء بخلاف الحرة" (1) .

وأضاف أيضاً؛ قائلاً: "فأما قوله (ولا يبدين زينتهن) فاعلم أنه سبحانه لما تكلم في مطلق الزينة تكلم بعد ذلك في الزينة الخفية التي نهاهن عن إبدائها للأجانب، وبين أن هذه الزينة الخفية يجب إخفاؤها عن الكل، ثم استثنى اثنتي عشرة صورة (إحداها) أزواجهن" (2) .

وتعقيبي على كلام الرازي أنني أختلف معه فيما قاله، ولكن يجب التركيز على بعض الكلمات التي قالها التي تبين مدى تخبط الفكر التراثي وعدم استقراره على شيء وذلك لاعتماده الكامل على غير كتاب الله فقد اعتمدوا على الأحاديث التي لا يعلم صحتها إلا الله تعالى.

ففي مقطعين من كلامه بدأ بالتالي: "اختلفوا في المراد ...."؛ إذن هذا يدل على أن الموضوع مختلف فيه فلا يأتي لنا أحد ويقول: أنه أمر من ثوابت الأمة والدين. وإلا كيف يختلفون على الثوابت، فهي بذلك لم تعد من الثوابت !..

وفي المقطع الثاني يقول: "معنى الآية إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية، وذلك في النساء الوجه والكفان"؛ إذن من

---

(1) نفس المرجع رقم (1)؛ ص 207 .

(2)نفس المرجع رقم (1)؛ ص 207 .

التراث كما هو واضح أن النقاب أمر ليس من الشريعة وهذا من كلام السلف !..

وفي المقطع الثالث قال: "..بالحرائر دون الإماء، ..هو أن الأمة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها.."؛ وأنا أستعجب من هذا القول الموجود بكثرة في التراث الإسلامي حيث أنهم فرقوا بين الحرة والأَمَة!..

أليست هذه إنسانة مؤمنة وهذه مؤمنة؛ فلما يتم التفريق بينهم؟!

كما أنهم يستبيحون النظر إلى الأَمَة (الجارية)؛ ويقولون أن عورتها مثل الرجل وقد تكون أقل، فكيف يكون هذا ؟!

فهذه تقسيمات بشرية قالوا بها من ذهنهم ومما وجدوه من أحاديث مكذوبة على الرسول وأفعال سياسية من الحكام لديهم فمشوا عليها طوال هذه السنوات الماضية من عمر الإسلام.

مفهوم (الزينة) في التنزيل الحكيم

وأنا أقول مثلما قال (أبو حنيفة): "هم رجال ونحن رجال، فقومٌ اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا"..

وعلى هذا لا ينكر علينا أحد مما نفهمه من كتاب الله تعالى حسب وعينا وقراءتنا المعاصرة.

فدعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (زينتهن) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (زَيَنَ)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً حوالي (46 مرة). منهم الألفاظ التالية: الزِّينَةِ (1) بِزِينَةٍ (2) زَيَّنَ (2) زَيَّنَّا (4) زُيِّنَ (9) زِينَةً (2) زِينَةَ (2) زِينَةُ (1) زِينَةِ (1) زِينَتَكُم (1) زِينَتَهُنَّ (2) زِينَتِهِ (1) زِينَتِهِنَّ (1) فَزَيَّنَ (1) فَزَيِّنُوا (1) لأُزَيِّنَنَّ (1) وَازَّيَّنَت (1) وَزَيَّنَ (3) وَزَيَّنَهُ (1) وَزَيَّنَّا (1) وَزَيَّنَّاهَا (2) وَزُيِّنَ (1) وَزِينَةً (1) وَزِينَةٌ (1) وَزِينَتَهَا (2) وَزِينَتُهَا (1)؛ فدعونا ننظر لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة (1) (لأبن فارس) (متوفى 395 هـ): قال:

(زين): الزاء والياء والنون أصلٌ صحيح يدلُ على حُسن الشيء وتحسينه.

• وفي معجم لسان العرب(1)(لأبن منظور) (متوفى 711 هـ): قال:

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 41 .

(زين): الزينُ: خلاف الشين، وجمعه أزيانٌ. وتزينت الأرض بالنبات وازينت وازدانت ازدياناً وتزينت وازينت وازيأنت وأزينت أي حَسُنَت وبَهُجَتْ.

• وفي مفردات ألفاظ القرآن(2)(للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

(زين): الزينة الحقيقة: ما لا يشِينُ الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا، ولا في الآخرة، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينةٌ نفسية كالعلم، والاعتقادات الحسنة، وزينةٌ بدنيةٌ، كالقوة وطول القامة، وزينةٌ خارجية كالمالِ والجاهِ.

فقوله: {حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ (7)} (الحجرات)؛ فهو من الزينةٌ النفسية، وقوله: {مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ (32) } (الأعراف)، فقد حُمل على الزينة الخارجية. وقوله: { فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ (79) } (القصص)، فهي الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه.

يقال: زانه كذا، وزينهُ: إذا أظهر حُسنه؛ إما بالفعل؛ أو بالقول.

وتزيينُ الله للأشياء قد يكونُ بإبداعها مُزينة، وإيجادها كذلك، وتزيين الناس للشيء: بتزويقهم، أو بقولهم، وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يرفه منه.

---

(1) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 13، ص 201 – 202 .

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 388 – 390 .

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ز – ي – ن) فيزيائياً:

(ز): صوت يدل على إزاحة الحركة باتجاه معين فتنقطع آثارها في المركز.

(ي): صوت يدل على خروج ووضوح شيء.

(ن): صوت يدل على ستر أو اختباء أو سكون.

(زين): لفظة تدل على إزاحة الحركة في اتجاه معين، فتخرج وتتضح، وتنتهي بالستر والسكون.

وإذا أضفنا الحرف الأخير (ة) للفظة تكون كالتالي: (زينة):

(ة): صوت يدل على اجتذاب واجتماع الحركات.

(زينة): لفظة تدل على إزاحة الحركة في اتجاه معين، فتخرج وتتضح، ثم تبدأ في السكون، وتنتهي باجتذاب واجتماع الحركة في مكانها.

وهذا المعنى الفيزيائي المفهومي ينسجم مع المعاني التي وردت في المعاجم اللغوية.

فـ (زَيَنَ = انسجم ذاتيّاً وظهر حُسنه وجماله وكماله بدرجةٍ أعلى) لا يعني التحلي باستخدام (الحُلي) ولبسها أو وضعها على الشيء المُزَيَّن من خارجه، وإنَّما تعني أنَّ ما يشار إليه على أنَّه زينةٌ للشيء هو أمرٌ أساسيٌّ للمُزَيَّن.

إنَّنا لا نستخدم (الزَينْ) لمن يلبس الحُلي وإنَّما نستخدم هذا الوصف لمن نعتقد أنَّه يمتلك صفاتٍ ذاتيةً تجعله زيناً.. فنحن

نصف المنتج بأنَّه (زَيَنٌ) إذا كان جيداً في عمله وطبيعته وليس إذا كانت عليه رتوش من الخارج.

إذن قوله: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)؛ لا يُشيرُ بتاتاً إلى إضافةِ شيء من خارج الإنسان إليه. وإنَّما الحديثُ يجري عن أمورٍ ذاتيةٍ موجودةٍ في ذاتِ المرأة وهو (جسمها).

أقسام الزينة:

إن الزينة قسمان: 1- الزينة المَخْفية. 2- الزينة الظاهرة.

مما سبق دعونا نتفق على أن (جسد المرأة كله زينة)؛ فالمرأة كلها زينة، هذا الجسد يقسم إلى قسيمن:

1- الزينة الظاهرة: وهي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي ما أظهره الله تعالى في خلقها ك "الرأس، و الأطراف الأربعة". حيث أن رأس المرأة أو الرجل هو أظهر جزء منه وهو هوية الإنسان.

2- الزينة المخفية: وهذا قسم قد أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها. هذا القسم المخفي هو الجيوب. وسنأتي في بحث القادم على مفهوم (الجيوب) بالتفصيل.. وهذه الزينة منهي عن إبدائها.

الفرق بين لفظة (ظهر) ولفظة (بدا)

جاء الجذر الثلاثي العربي (ظَهَرَ)؛ في التنزيل الحكيم حصراً (59 مرة). منها الألفاظ التالية: الظَّهِيرَةِ (1) بِظَاهِرٍ (1) تَظَاهَرَا (2) تَظَاهَرُونَ (1) تُظَاهِرُونَ (1) تُظْهِرُونَ (1) ظَاهَرُوهُم (1) ظَاهِرًا (2) ظَاهِرَ (1) ظَاهِرَةً (2) ظَاهِرِينَ (2) ظَهَرَ (4) ظَهِيرًا (4) ظَهِيرٌ (1) ظَهِيرٍ (1) ظَهْرَكَ (1) ظَهْرِهَا (1) ظَهْرِهِ (2) ظُهُورُهَا (1) ظُهُورُهُمَا (1) ظُهُورِكُم (1) ظُهُورِهَا (1) ظُهُورِهِ (1) ظُهُورِهِم (5) ظِهْرِيًّا (1) لِيُظْهِرَهُ (3) وَأَظْهَرَهُ (1) وَالظَّاهِرُ (1) وَظَاهَرُوا (1) وَظَاهِرُهُ (1) وَظَهَرَ (1) وَظُهُورُهُم (1) يَظْهَرُوا (1) يَظْهَرُونَ (3) يَظْهَرُوهُ (1) يُظَاهِرُوا (1) يُظَاهِرُونَ (2) يُظْهِرَ (1) يُظْهِرُ (1)

دعونا ننظر لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

- **في معجم مقاييس اللغة [1] (لأبن فارس) (متوفى 395 هـ)؛قال:**

(ظهر): الظاء والهاء والراء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُ على <u>قوة وبروز</u>. ولذلك سمي الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها.

نأتي الآن لتحليل لفظة (ظ – هـ – ر) فيزيائياً:

(ظ): صوت يدل على دفع وبروز شديد ملتصق.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 471 .

(هـ): صوت يدل على تأرجح خفيف منضبط.

(ر): صوت يدل على حركة سريعة منتظمة ومتكررة أو مرتبطة ومتصلة.

(ظهر): لفظة تدل على حركة مندفعة بارزة بشدة، يتبعها تأرجح خفيف منضبط، منتهٍ بسرعة متكررة ومتصلة.

فالزينة الظاهرة؛ تكون ذات بروز ووضوح ولا ينتهي هذا البروز والوضوح إنما يكون مستمر في الزمن دون توقف ومتكرر.

وإذا طبقنا هذا على الزينة المقصودة في الآية والتي هي (جسم المرأة كله)؛ يكون الظاهر من هذه الزينة هي: "الرأس والأطراف الأربعة"..

<u>(وَلاَ يُبْدِينَ)</u>

نأتي الآن على الجذر الثلاثي العربي (بَدَاَ)؛ جاء هذا الجذر في التنزيل الحكيم حصراً (34 مرة). منهم الألفاظ التالية:

الْبَدْوِ (1) بَادُونَ (1) بَادِيَ (1) بَدَا (2) بَدَت (1) بَدَتِ (1) تُبْدَ (2) تُبْدُوا (4) تُبْدُونَ (3) تُبْدُونَهَا (1) تُبْدُوهُ (1) فَبَدَت (1) لَتُبْدِي (1) لِيُبْدِيَ (1) مُبْدِيهِ (1) وَالْبَادِ (1) وَبَدَا (4) يُبْدُونَ (1) يُبْدِئُ (3) يُبْدِهَا (1) يُبْدِينَ (2)

دعونا ننظر إلى بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة[1](لأبن فارس) (متوفى 395 هـ)؛ قال:

(بدو): الباء والدال والواو أصلٌ واحد، وهو ظُهور الشيء.

• وفي مفردات ألفاظ القرآن [2](للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

بَدا الشيء بُدوًّاً وَبداءً أي: ظهر ظهوراً بيّناً، قال تعالى: { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) } (الزمر)، { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا (48) } (الزمر).

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ب – د – آ) فيزيائياً:

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(د): صوت يدل على دفع شديد متوقف.

(آ): صوت يدل على إثارة وامتداد في الزمان والمكان.

(بَدَاَ): لفظة تدل على انتقال الحركة إلى نقيضها، يتبعها دفع شديد متوقف، منتهي بإثارة وامتداد في الزمان والمكان.

فإذا طبقنا هذا المفهوم على الآية المراد تدبرها – النور: 31 – سنجد أن الله ينهانا عن إبداء الزينة (المخفية)؛ بقوله: (ولا يبدين زينتهن). حيث إننا إذا أبدينا الزينة؛ ستكون المرأة انتقلت إلى نقيض حركة الإخفاء وهو الظهور الذي قد يؤدي هذا الإبداء بإثارة في الزمان والمكان. حيث هنا قد يثار أحد الذكور الموجودة ويرى (الزينة المخفية).

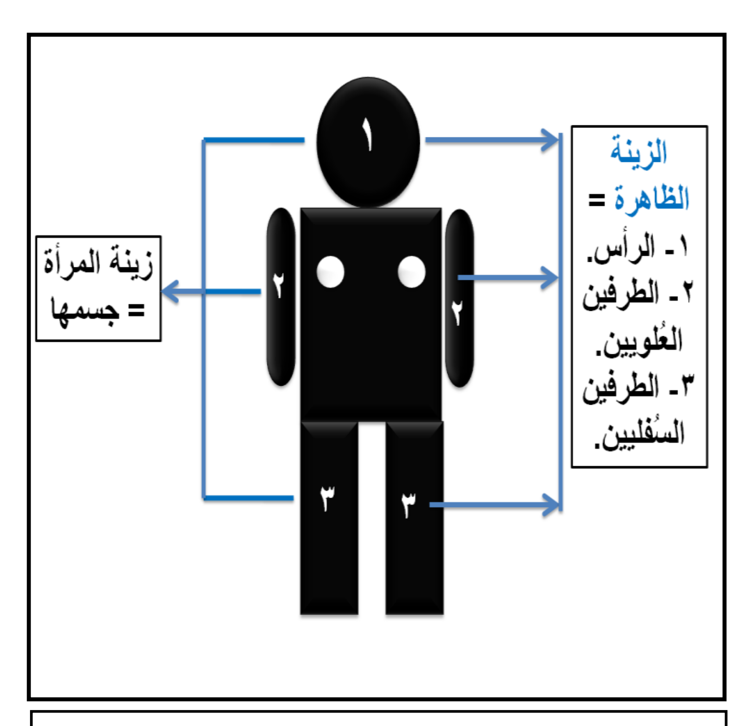
---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 212 .

(2) الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 113 .

فالإبداء لا يكون إلا لشيء مخفي أصلاً؛ كقوله: { وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ (284) } (البقرة).

إذاً؛ الفرق بين (بدا) و (ظهر)، هو أن (ظهر)، أي: تغلب بروزه وصار مشهوداً قائماً. بينما (بدا)؛ أي: ظهرت بعض صفاته رغم عدم ظهوره ذاتياً. فيحتاج إلى مُفعل لهذا الظهور من خلال قوة خارجية تُبدي ما قد خفي عن الظهور، ففيها تعمد وقصد.



(شكل: **1**): توضيح لأقسام الزينة في جسم المرأة.

تفسير كتب التراث الإسلامي

قال تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ...(31)} (النور).

في هذه الفقرة من البحث سأذكر لكم بعضاً مما قيل في التراث الإسلامي عن هذا المقطع من هذه الآية المراد تدبرها.

"القرطبي" (المتوفى سنة 671 هـ) في تفسيره الشهير بـ "تفسير القرطبي"؛ قال: "أمر الله تعالى بلَيِّ الخمارِ على الجيوب، وهيئةُ ذلك: أن تضربَ المرأةُ بخمارها على جيبها لتستُرَ صدرَها" [1] .

ثم أضاف القرطبي؛ فقال: "قال مقاتل: (على جيوبهنَّ) أي: على صدورهنّ، يعني على مواضع جيوبهنّ" [2] .

ويضيف القرطبي؛ قائلاً: "في هذه الآية دليلٌ على أنَّ الجَيْب إنما يكون في الثوب موضعَ الصدر، وكذلك كانت الجيوبُ في ثياب السلف رضوان الله عليهم، على ما يصنعه النساءُ عندنا بالأندلس، وأهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرِهم"[3] .

"ابن كثير" (المتوفى سنة 774 هـ) في تفسيره الشهير المعروف باسم "تفسير ابن كثير"؛ قال: "قال سعيد بن جبير:

---

(1) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 2006م، ج 15، ص 215 .

(2) نفس المرجع رقم (1)؛ ج 15، ص 216.

(3) نفس المرجع رقم (1)؛ ج 15، ص 216 .

(وليضربن): وليشددن (بخمورهن على جيوبهن) يعني: على النحر والصدر، فلا يرى منه شيء"[1].

تعليقي على ما تقدم ذكره في كتب التفاسير أنها تضاربت في فهم الآية كعادة كتب التراث فهي دائماً تأخذك في متاهات ولا تخرج بنتيجة قوية. ولا أعيب كثيراً على هذا التجميع الذي نقوله في كتب التراث، ولكن ها أنا أذكر أراءً تخدم ما أنوي قوله في اجتهادي الحديث للنص القرآني.

فمما تقدم لنا هذا يوضح أن الجيوب عندهم في معظم كتب التراث تعني (فتحة الصدر). وكان المقصود من الآية هي تغطية فتحة الصدر، رغم أنهم اختلفوا وقال منهم أن الخمار تغطية الرأس.

فأقحموا كلمة الرأس في سياق كلامهم دون دليل أو منطق أو نص يدعم حديثهم عن ذلك

ولمزيد مما قيل في كتب التراث فلنلقي نظرة على كتاب من كتب الفقه وهو "المغني" لأبن قدامة (المتوفي سنة 620 هـ): فقد قال:

"(وصلاة الأَمَةِ مكشوفة الرأسِ جائزةٌ) هذا قول عامة أهل العلم. لا نعلم أحداً خالف في هذا إلا الحسن"[1].

---

(1) أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، 1999 م، ج 6، ص 46.

ثم أضاف (ابن قُدامة) قائلاً: "وإن صلت الأمةُ مكشوفة الرأس فلا بأس، واختلف أصحابنا فيما عدا ذلك، فقال ابنُ حامد: عورتها كعورة الرجل، وقال القاضي في (الجامع): عورة الأمة ما عدا الرأس واليدين إلى المرفقين، والرجلين إلى الركبتين"[2].

وتعليقي على ما قاله "ابن قُدامه": يتضح من ذلك أن كتب الفقه اختلفت في حكم لباس المرأة في الصلاة وما يصح منها وما يبطل، فلا يجوز أن يقول لنا أحد الناس أن هناك إجماع من العلماء على تغطية شعر أو رأس المرأة في الصلاة !..

فكيف يكون ذلك، وقد حدث الاختلاف ها هنا كما أوردنا؟!..

وإن قال قائل لنا أن هذا الحُكمِ للأَمَةِ – أي الخادمة – وليس للحرة؛ قلت له وهل الأحكام الشرعية التي أنزلها الله للمؤمنين تُفرق بين العبد وغير العبد بين الحر وغير الحر !..

كيف يكون ذلك وقد جاء الرسول بالرسالة الخاتمة ليجعل الناس كأسنان المشط لا يفرق بين أحد إلا على أساس الصلاح أو التقوى؛ فيكون ما قالوه مناقضاً لمقاصد الشريعة وللغاية من الرسالة المحمدية الخاتمة.

---

(1) أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، المغني، تحقيق: د.عبد الله بن المحسن التركي و د.عبد الفتح محمد الحلو، ط 3، دار عالم الكتب – الرياض، 1997 م، ج 2، ص 331.

(2) أ نفس المرجع السابق رقم (1)؛ ج 2، ص 332 .

وإن قالوا وما الحل فيما تم ذكره في كتب التراث هذه؟!

قلت لهم: أن ما قيل قد يكون حدث، وصحيح في نظرهم ولكن هذا يدل على أن هذه أحكام من العادات والتقاليد وتطبيق القانون في ذلك الوقت وليس هذا من شرع الله تعالى..

إذن؛ لا تأتوا وتنكروا علينا ما نقدمه من فكر جديد للناس في تدبر وفهم الآية رقم (31) من سورة النور. أو آيات أخرى من التنزيل الحكيم كله.

فليس غرضي؛ هو نشر الفاحشة كما قيل عني!.. فهم إن كانوا يعرفون ما معنى كلمة الفاحشة في التنزيل الحكيم، ما كانوا ليقولوا عني ذلك الكلام السيئ !..

لو سأل شخص: لماذا تستشهد بكلام كتب التراث وأنت لا تتفق معها كثيراً؛ أليس هذا تناقض ؟!

قلت له: لا؛ ليس هذا تناقض. فإنني استشهد من الكتب التي يتمسكون بها دائماً، وهذا شيء يكون قوياً في الاستدلال المنطقي. حيث أنني أتي بكلام مخالف لما يقولونه للناس دائماً ومن مصادرهم أيضاً، ليبهتوا ويسكتوا...

فالعاقل سينظر فيما قلته بعين جديدة إذا أراد فعل ذلك. وأنا أدعو كلَّ قارئ بقراءة البحث مرات عديدة ليستوعب ما قلته ونقلته لكم.

وأنا أقول مثلما قال (أبو حنيفة): "هم رجال ونحن رجال، فقومٌ اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا"..

وعلى هذا لا ينكر علينا أحد مما نفهمه من كتاب الله تعالى حسب وعينا وقراءتنا المعاصرة.

مفهوم (الضرب) في التنزيل الحكيم

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (وَلْيَضْرِبْنَ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (ضَرَبَ)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً حوالي (58 مرة). منهم الألفاظ التالية: أَفَنَضْرِبُ (1) اضْرِب (3) اضْرِبُوهُ (1) تَضْرِبُوا (1) ضَرَبَ (6) ضَرَبُوا (3) ضَرَبُوهُ (1) ضَرَبْتُم (3) ضَرَبْنَا (3) ضَرْبًا (2) ضُرِبَ (2) ضُرِبَت (1) فَاضْرِب (2) فَاضْرِبُوا (1) فَضَرَبْنَا (1) فَضَرْبَ (1) فَضُرِبَ (1) نَضْرِبُهَا (2) وَاضْرِب (3) وَاضْرِبُوا (1) وَاضْرِبُوهُنَّ (1) وَضَرَبَ (4) وَضَرَبْنَا (1) وَضُرِبَت (2) وَلْيَضْرِبْنَ (1) وَيَضْرِبُ (2) يَضْرِبَ (1) يَضْرِبُ (3) يَضْرِبُونَ (3) يَضْرِبْنَ (1)

دعونا ننظر إلى بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

- في معجم مقاييس اللغة[1](لأبن فارس) (متوفى 395 هـ)؛ قال:

(ضرب): الضاد والراء والباء أصل واحد، ثم يستعار ويحمل عليه. ويستعار منه ويشبَّه به الضَّرب في الأرض تجارةً وغيرها من السّفر. قال تعالى: { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ (101) } (النساء).

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 397 – 398 .

ويقولون: إن الإسراع إلى السير أيضاً ضرب.

والطَّير الضَّوارب: الطَّوالب لِلرِّزق. ومن الباب: الضرب: الصَّيغة. يقال: هذا من ضَرْب فلان، أي صِيغته؛ لأنه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه. والضريب من اللبن: ما خُلِط مَحْضه بحقينه، كأن أحدهما قد ضُرب على الآخر.

ضَرَبَ فلانٌ على يد فلان، إذا حَجَرَ عليه، كأنه أراد بَسطَ يدَه فضرب الضاربُ على يده فقبض يدَه.

• وفي مفردات ألفاظ القرآن[1] (للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

الضَّرْبُ: إيقاعُ شيءٍ على شيءٍ، ولتصوُّرِ اختلاف الضربِ خُولِفَ بين تفاسيرها، كضرب الشيء باليد، والعصا، والسيف ونحوها، قال تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ (60)} (البقرة). وضرب الأرض بالمطر، وضرب الدراهم، اعتباراً بضرب المطرقة، وقيل له: الطبعُ، اعتباراً بتأثير السّمة فيه، وبذلك شُبه السجيةُ، وقيل لها: الضريبة والطبيعة.

وضرب العود، والناي، والبوق يكون بالأنفاس، وضرب اللبن بعضه على بعضٍ بالخلط، وضرب المثل هو من ضرب الدراهم، وهو ذِكْرُ شيءٍ أثره يظهر في غيره.

واستضرابُ الناقة: استدعاءُ ضرب الفحل إياها.

---

(1) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 505 – 506 .

•نأتي الآن لتحليل لفظة (ض – ر– ب) فيزيائياً:

(ض): صوت يدل على إحاطة وضبط للحركة وتوجيهها باتجاه ثابت عليه.

(ر): صوت يدل على حركة سريعة منتظمة ومتكررة أو مرتبطة ومتصلة.

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(ضرب): لفظة تدل على حركة متوجه بشكل ثابت، تنتظم وتتكرر وتتصل مع بعضها، وتنتهي بالتحول إلى الحالة النقيض لما كانت عليه مع بداية حركتها.

فهي حركة تتجه بشكل ثابت ومندفع، فهذه الحركة المتوجهة نحو الهدف تكون متصلة ومضغوطة، مما يؤدي إلى انبثاقها في نهاية الحركة بعد وقوعها على الهدف، فينتهي ذلك بشكل نقيض لما كانت عليه في بدايتها من سكون وضغط.

وهذا هو الضرب الذي يشار به إلى: تكرار الضغط الموجه من كتلةٍ إلى كتلةٍ أو من أمرٍ على أمرٍ من أجل نتيجة أكبر وأوضح وأكثر إنتشاراً.

ومن هذا مثلاً: نفهم عملية (الضرب) العقابي على البدن: بأنها:

إيقاع كتلة من قبل الضارب على كتلة المضروب من أجل أرغامه على الإنصياع لحدود معينة مفترضة ذهنياً، ربما يكون المضروب عارفاً لها وغافلاً عنها.

فالضرب عملية موضوعية مقصودة لتحقيق أمرٍ معين خارج ذات الفاعل، ولكنَّه موجود في ذهن الفاعل.

وفعل (الضرب) فعل متعدي[1] يحتاج إلى تحديد:

---

(1)لتوضيح الفرق بين الفعل المتعدي والفعل اللازم؛ هو كالتالي:

- صفات الفعل اللازم:

1. أنه فعل ذاتي يقع في داخل الفاعل لذلك هو لا يحتاج إلى مفعول به لأن الفاعل نفسه سيكون محلاً لوقوع الفعل.

2. أنه يتميز بدرجة واحدة من الوضوح بالنسبة إلى المتلقي الذي يعيش في الواقع الخارجي، فهو أمر وقع في داخل الفاعل لذا اعتبرناه فعلاً لازماً محدوداً بحدود واحدة.

فحينما نقول: مات المريضُ. نوحي بأنَّ الموت في نظرنا هو فعل واحد له حدٌّ واحد! ولا نعرف أعماقه، فنحن نعتقد بأنه قضيه واحدة ليست لها مساحة كبيرة.

3. إن اكتفاء المتحدث بالإشارة إلى الفاعل عِبرَ استخدام فعل لازمٍ تعني اعتقاده بعدم حاجة المتلقي للمزيد من التوضيح.

4. معنى الفعل اللازم يعتمد على محددات فطرية موجودة في النفس البشرية للمتلقين عموماً؛ وهي محددات بسيطة وعليها شبه اتفاق وقبولٍ عام.

فحينما نقول: "سافر فلان" فهذا يعني للمتلقين قدراً متشابهاً من المعنى وإن تفاوتت أفكارهم حول الطريقة، والوقت، وما أصاب الفاعل وغير ذلك مما لا يعتبر أمراً مهماً للتأثير على معنى "السفر".

- صفات الفعل المتعدي:

1. فعل موضوعي خارجي يقع خارج ذات الفاعل لذا فالمتلقي يتوقع أن يجد في كلام المتحدث أثراً للمفعول به؛ الذي يقع الفعل عليه، وسيرغب في معرفة مكان وقوع الفعل وأثره في الواقع وحدود ذلك الأثر.

2. يتميز بمساحة واسعة يتحرك فيها وتتفاوت فيها درجات وقوع ذلك الفعل.

أذن نخرج من هذا كله بأن معنى الجذر (ضرب)؛ هو:

إيقاع كتلة على كتلة لأجل التحديد والقياس أو من أجل نتيجة جديدة.

مثلاً لو قلنا: ضربَ الولدُ. فإن المتلقي لا يكتفي بهذا القول ويبقى منصتاً للمتحدث، لأنه يريد أنْ يعرف تفاصيل أوفى عن الفعل، بمعنى أن المفعول مهم للغاية عند المتلقي؛ حتى يفهم المقصود من الكلام عندما يستعمل المتحدث فعلاً متعدياً؛ فإن عليه أن يوضح للمتلقي حدود ذلك الفعل وآثاره وطريقة وقوعه وما إلى ذلك، حتى لا يترك المتلقي أو السامع في حيرة من أمره سَيما إذا كان الكلام سيصبح أساساً تنبني عليه مواقف واجبة التنفيذ تقع على عاتق المتلقي أو السامع.

3. ويزداد هذا الأمر إلحاحاً كلما كان موضوع الحديث هاماً، كما هو الحال مع النص القرآني الذي يُنظر إليه على أنه تشريعات – أو أصول لتشريعات – واجبة التطبيق من قبل طيف واسع من المسلمين. فكل ما كان الحديث عن مسألة تشريعية تتعلق بها أرواح وأعراض وأموال أناس تطلب الأمر وجود تفصيل ووضوح أكبر.

4. المتلقي حينما يسمع موضوعاً معتمداً على فعل متعدٍ فإنه يذهب مباشرة إلى أكثر المعاني شيوعاً وإلى أكثرها ارتباطاً بالسياق وإلى أقل درجات الفعل تأثيراً كلما كان هناك غموض في حركة الفعل.

فمثلاً: لو قال أحدهم: ضربَ الولد ابنه. فإن السامع لن يتبادر إلى ذهنه أن والداً قد ضرب ابنهُ بأداة قاتلة أو بمسدس وإنما سيكون شبه واثقٍ أنه سيميل وبشكل تلقائي إلى تصور درجة واطئة من أثر الفعل.

مفهوم (الخمار) في التنزيل الحكيم

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (بِخُمُرِهِنَّ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (خَمَرَ)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (7 مرات) فقط. منها الألفاظ التالية: الْخَمْرُ (1) الْخَمْرِ (2) بِخُمُرِهِنَّ (1) خَمْرًا (2) خَمْرٍ (1)

وكلها تأتي في القرآن لتدل على معنى واحد لا يتغير مهما أتى في نص مغاير ولكن يُطبق معناه حسب نزوله في سياق الآيات وفقط.

دعونا ننظر في المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة[1](لأبن فارس) (متوفى 395 هـ):

(خمر): الخاء والميم والراء أصلٌ واحد يدلُ على التغطية، والمخالطةِ في سَتْر. فالخمْرُ: الشَّراب المعروف. واختمارُها: إدراكُها وغَليانُها. ومخمَّرها: متَّخِذها. والتخمير: التغطية.

خامَرَ الرّجُل المكانَ، إذا لزِمه فلم يَبْرح. ويقال خمَّرتُ العجينَ، وهو أن تتركه فلا تستعمله حتى يَجُود. والخُمْرة: السّجَّادة الصَّغيرة.

• وفي معجم لسان العرب[1](لأبن منظور) (متوفى 711 هـ): قال:

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 215 – 216 .

(خمر): خامَرَ الشيءَ: قاربه وخالطه. وسُميّت الخمر خمراً لأنها تُركَتْ فاختمرت.

نستنتج المعنى من المعاجم بأن (خمر)؛ تعني: التغطية، والستر، والمخالطة. كما تدل على الإرتخاء كونها تُرِكَتْ لمدة طويلة.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (خ – م – ر) فيزيائياً:

(خ): صوت يدل على إخماد الحركات في مكانها وكبت جماحها فيحدث توقفاً عند هذا الحد.

(م): صوت يدل على جمع متصل ينضم ويتداخل ويتكامل في إطارٍ واحدٍ.

(ر): صوت يدل على حركة سريعة منتظمة ومتكررة أو مرتبطة ومتصلة.

(خمر): لفظة تدل على إخماد الحركات في مكانها وكبت جماحها فيحدث توقف لها، فتتصل وتتداخل في إطارٍ واحد، وتنتهي بارتباطها وتكرارها بشكل سريع ومستمر.

فاجتماع هذه الأصوات مع بعضها، يصف حالاً يتم في الواقع، يبدأ بحالة إخماد للحركة فترتخي، وتتصل الحركة مع بعضها في إطار واحد، وتَكَرُر هذه العملية بشكل مستمر.

---

(1) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 4، ص 254 – 255 .

ونجد هذه العملية تتحقق فيما يسمى اليوم بـ (مشروبات الخمر المعروفة). فالخمر سُميّ خمراً لذاته، فهو عند تحضيره يحتاج لتركه طويلاً حتى يختمر؛ فهو بذلك حقق حالة الإخماد والتراخي، واتصال أجزائه مع بعضها، وتكرار حركته في النهاية بشكل مستمر. ليظهر لنا اليوم ما نسميه خمراً.

كما أن كل ما ينتج عنه تراخي للعقل وغياب إدراكه، فهو سُميّ (خمراً). سواء كان ذلك؛ شراب ويسكي أو سيجارة حشيش أو تعاطي هيروين. فكل ذلك سُميّ (خمراً) في القرآن الكريم.

حيث أن هذه المواد تجعل الجسم والعقل بالتحديد في حالة إخماد لحركته وتراخي للأعصاب، مما يجعله منغلقاً على ذاته متصلاً في إطار واحد – أيّ في حالة نشوة وتوهانٍ عن الواقع – وهذا يأخذ وقتاً طويلاً بذلك يكون مستمراً ومتكرراً.

ويدخل في حالةٍ من الإدمان، مما يجعله أيضاً يحتاج إلى ذلك الشيء – "خمر" – بشكل مستمر ودائم.

وسُميَّ الخمار خماراً؛ لأنه يتحقق فيه هذه الصفات أيضاً؛ صفة التراخي، المتصلة مع ذاتها، المنتهية بالتكرار المستمر. وقد ينطبق ذلك على قطعة قماش تتشكل، ليُغطي به الإنسان نفسه. أو على هيئة (سجادة صلاة) فهي قطعة من القماش مرتخية، متصلة مع ذاتها، وحركتها متكررة دائماً.

فلفظة (خمر)؛ هي مفهوم ذهني، ينطبق مصداقه في الواقع على أيّ شيء يأخذ هذه الصفات التي تم ذكرها من قبل.

فالخمار ليس هو غطاء الرأس وفقط، الخمار هو كلٌّ شيء مرتخٍ، متصلٍ مع ذاته، منتهٍ بحركةٍ متكررةٍ. مهما كان وضعه سواءً على الرأس أو على الساق أو على الكتف أو على الفخذين أو على البطن أو على ظهر الإنسان. فالوضيعة تحددها سياق الآية وليس الإنسان، وهي هنا في الآية الوضعية تُسمى (الجيوب).

فالخمار: خمارٌ قبل استخدامه في التّغطية.

فماذا قصد الله بكلمة الجيوب حينما أمر المرأة أن تضرب بالخمار عليه؟

مفهوم (الجيوب) في التنزيل الحكيم

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (جُيُوبِهِنَّ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (جَيَبَ)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (3 مرات) فقط. منهم الألفاظ التالية: جَيْبِكَ (2) جُيُوبِهِنَّ (1)

وكلها تأتي في القرآن لتدل على معنى واحد لا يتغير مهما أتى في نص مغاير ولكن يُطبق معناه حسب نزوله في سياق الآيات وفقط.

دعونا ننظر إلى بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم لسان العرب[1] (لأبن منظور) (متوفى 711 هـ)؛ قال:

(جيب): الجيبُ: جيبُ القميص والدرع، والجمع جُيُوبٌ. وفلانٌ ناصحُ الجَيبِ: يُعنى بذلك قلبه وصدره. وجيب الأرض: مَدْاخَلها.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ج – ي – ب) فيزيائياً:

(ج): صوت يدل على جهد و شدة وعلى الغلظة.

(ي): صوت يدل على جهد خفيف ممتد زمانياً.

---

(1) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 1، ص 288 .

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(جيب): لفظة تدل على جهد وشدة غليظة، ممتدة زمانياً، تنتهي بانتقال الحركة نقيض ما كانت عليه في بداية حركتها.

ولكي نستوضح أكثر معنى الجيب دعونا ننظر إلى الآيات التي ذُكر فيها هذا الجذر اللساني.

قال تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...(12)} (النمل).

قال تعالى: {اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ...(32)} (القصص).

نفهم من تلك الآيات أن الله طلب من سيدنا موسى إدخال وتوصيل يده إلى ما تحت إبطه من خلال فتحة الصدر في قميصه. ووضح ذلك أكثر بكلمة (جناح) مثلما؛ قال تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...(22) }(طه). فالذراع من الإنسان بمثابة الجناح من الطائر، ونهايتها الكتف والإبط.

فهذا أيضاً يدلل على ما توصلت له من جمع دلالة الأصوات للفظة (جيب). فهي تبدأ بالجهد والشدة والغلظة، ويمتد هذا الجهد بشكل خفيف زمانياً، مما ينتهي بوصول الحركة إلى نقيض ما كانت عليه.

ونستدل أيضاً بحديثٍ نُسِبَ للنبي يقول فيه: "ليس منَا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب". (صحيح البخاري: حديث رقم 1232).

فالمقصود بشق "الجيوب" كما هو معروف إلى الآن فالنساء أحياناً عند الحزن تشق الثياب الذي عليها من فتحة الصدر في الثياب. فتكون الجيوب هنا الفتحات الموجودة في الثياب التي من خلالها يُسَهّلُ للمرأة شق ثيابها بشكل سريع.

ومما تقدم؛ أستنتج من كل ذلك أن (الجيب) هو: الفتحة بين شيئَيْن.

ومن ذلك نقول: أن الجيوب هي الفرج و الدُبر (المؤخرة) وما بين الثديين وما تحتها وما تحت الإبطين.

قد يقول البعض أليس الفم والأنف والعينان والأذنان من الجيوب ؟

نقول له: نعم؛ ولكنها جيوبٌ ظاهرة لأنها في الوجه، ورأس الأنثى أو الذكر هو أظهر جزءٍ منه وهو هوية الإنسان.

أما ما تمّ ذكره – الفرج و الدُبر (المؤخرة) وما بين الثديين وما تحتها وما تحت الإبطين – هذه من الزينة المخفية، من جسد المرأة.

فقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنات بتغطية الجيوب التي هي الزينة المخفية خلقاً.

وقد تحدثت من قبل عن أقسام الزينة مما يساعد على فهم الآية بشكل أعمق؛ فتكون الصورة بذلك مكتملةً في موضوع لبس المرأة المؤمنة.

والفرج وما بين الدُبر هما (العورة المغلظة)، للذكر والأنثى. فممنوع على غير الزوج أن تقع عينه عليها. وأما باقي الجيوب المخفية يمكن للمحرمات التي ذُكرت في الآية أن يروا هذه الجيوب ليس عن طريق القصد والعمد وإنما يكون سهوا من المرأة.

أذنّ؛ نستخلص مما تقدم ذكره؛ أن النص لم يستخدم فعل الأمر بالتغطية، أو الستر، ولم يستخدم كلمة (الرأس)، وإنما استخدم كلمة (الجيوب).

فالنص يقول: {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...(31) } (النور).

فلم تأتِ كلمة الرأس، أو الشعر، أو التغطية لهما والكلام واضح في الآية. أنها لم تأتِ مطلقاً!..

ولإيضاح كل ما عرضته، هذه صور لنماذج للحدّ الأدنى من لباس المرأة المؤمنة. (انظر صورة: 1).





(صورة: 1): هذه نماذج يمكن للمرأة أن ترتدي مثلها ولا بأس في ذلك. فذلك هو الحد الأدنى – أقل شيء – يمكن أن تلبسه المرأة المؤمنة وتخرج به في الشارع، فلا بأس في ذلك. ويمكن لها أيضاً أن تصلى به، كما أوضحنا من كلام التراث ومن تدبرنا للآيات.

إبداء الزينة للمحارم

نُكمل تدبرنا للنص من خلال تدبر المقطع التالي:

{ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ }...

هذا المقطع من النص يقول للمرأة، لمن يمكن لها أن تُبدي زينتها المخفية. وهم كالتالي: البعل (لِبُعُولَتِهِنَّ)، الأب والجد (آبَائِهِنَّ)، أبو البعل وجده (آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ)، الابن (أَبْنَائِهِنَّ)، أبناء البعل (أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ)، الأخ (إِخْوَانِهِنَّ)، أبناء الأخ (بَنِي إِخْوَانِهِنَّ)، أبناء الأخت (بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ).

- لماذا ذكر لفظة (البعل) ولم يقل (الزوج) بدلاً منها في الآية؟

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (لِبُعُولَتِهِنَّ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (بعل)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (7 مرات) فقط. منها الألفاظ التالية: بَعْلاً (1) بَعْلِهَا (1) بَعْلِي (1) بُعُولَتِهِنَّ (2) لِبُعُولَتِهِنَّ (1) وَبُعُولَتُهُنَّ (1)

• في مفردات ألفاظ القرآن[1] (للراغب الأصفهاني) (متوفى 425 هـ)؛ قال:

(بعل): البَعْل هو الذكر من الزوجين، قال تعالى: { قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72)} (هود)، وجمعه بعولَة، نحو: فَحل وفُحولة.

قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ (228) } (البقرة). ولما تصوَّر من الرجل الاستعلاء على المرأة فُجعل سائسها والقائم عليها... سُميّ باسمه كُلُّ مستعلٍ على غيره، فسمَّى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بَعْلاً؛ لاعتقادهم ذلك فيه في نحو قوله تعالى: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) } (الصافات).

ويقال أَتانا بَعْلُ هذه الدابة، أي: المستعلي عليها، وقيل للأرض المستعلية على غيرها بَعْل، ولفحلِ النخل بَعْلٌ تشبيهاً بالبَعْل من الرجال. واستبعَلَ النخل: عَظُم.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ب – ع – ل) فيزيائياً:

(ب): صوت يدل على الانتقال من شيء لنقيضه.

(ع): صوت يدل على عمق أو بُعد في الشيء.

(ل): صوت يدل على حركة ثقيلة متصلة لازمة.

---

(1)الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 135 .

(بعل): لفظة تدل على انتقال الحركة إلى نقيض ما كانت عليه، فتدخل في حالة عمق وبُعد، تنتهي بثقل متصل ومتلازم.

وهذا ما يحدث للذكر في بيته مع أسرته؛ إذ أنه لا يكون مع امرأته في حاله جماع ليكون زوجها، ولكن يقضي حاجة البيت من طلبات، أو يكون مستريحاً في صالة البيت مع أولاده، فيدخل في حالة عمق، التي تنتهي بثقل متصل مع أسرته.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) } (المؤمنون).

فالذكر يُسمى (زوج) المرأة عندما يكون في الفراش يمارس معها الجنس بالحلال بعقد نكاح شرعي. أما خارج هذه العلاقة في الحياة الاجتماعية اليومية يُسمى (بعل)؛ وهذا هو التفريق الذي وضحه التنزيل الحكيم. حيث أن الزوج في الحياة العامة لا يمارس الجنس مع زوجته طوال اليوم، ولا ينظر إلى فرجها طوال اليوم، ولذلك سُمي (بعل).

فـ (البعل): لفظة تدل على زوج المرأة خارج الدائرة الزوجية "الجنسية"، في الحياة العامة.

لذلك أضافه كـ (بعل) مع المحارم في إبداء الزينة المخفية بدون إبداء "الفرج"، في الحياة العامة.

فالبعل ليس من المحارم ولكنه من محارم إبصار الفرج فقط، فنجد أن المذكورين في باب الزينة من المحارم هم سبعة ؛ كالتالي:

1	الأب والجد	آبَائِهِنَّ
2	أبو البعل وجده	آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
3	الابن	أَبْنَائِهِنَّ
4	أبناء البعل	أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
5	الأخ	إِخْوَانِهِنَّ
6	أبناء الأخ	بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
7	أبناء الأخت	بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ

إذن؛ فرج المرأة ودُبرها "الجيوب السُفلية" هي (العورة المغلظة) التي لا يمكن إظهارها إلا للزوج فقط. وهذا يحدث عند ممارسة الجنس، فهي حلاله وهو حلالها.

أما (الجيوب العلوية) "ما بين الثديين وما تحتها وما تحت الإبطين" ، فيجوز لها إبداؤها للمذكورين في الآية – سورة النور: 31 –، فإن فعلت، فلا يسمى ذلك حراماً في حكم الدين، ولكن يمكن أن يسمى عيباً في حكم العُرف والعادات والتقاليد.

ويضاف إلى هؤلاء السبعة أولادهم وأحفادهم والذين دمجوا جميعاً بكلمة (نِسَائِهِنَّ)، وهذا ما يقال عنه: الفروع مهما نزلوا.

- قد يسأل شخص: وكيف أتيت بهذا المعنى من الكلمة المذكورة في النص (نِسَائِهِنَّ) ؟!

ولكي نعرف ذلك علينا أن نتعمق أكثر في مفهوم لفظة (النساء) في التنزيل الحكيم.

مفهوم (النساء) في النص القرآني

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (نِسَائِهِنَّ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (نسء)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (66 مرة) فقط. منهم الألفاظ التالية: النَّسِيءُ (1) مِنسَأَتَهُ (1) يَا نِسَاءَ (2) أُنَاسٌ (2) أُنَاسٍ (3) النِّسَاءَ (9) النِّسَاءُ (1) النِّسَاءِ (14) النِّسْوَةِ (1) نِسَاءً (1) نِسَاءٌ (1) نِسَاءٍ (1) نِسَاءَكُم (3) نِسَاءَهُم (3) نِسَاءِ (1) نِسَاؤُكُم (1) نِسَائِكُم (4) نِسَائِكُمُ (1) نِسَائِهِم (3) نِسَائِهِنَّ (2) نِسْوَةٌ (1) وَالنِّسَاءِ (2) وَلِلنِّسَاءِ (2) وَنِسَاءً (2) وَنِسَاءٌ (1) وَنِسَاءَكُم (1) وَنِسَاءَنَا (1) وَنِسَاءِ (1)

• في معجم مقاييس اللغة[1](لأبن فارس) (متوفى 395 هـ): قال:

(نسئ): تأخير الشَّيء . ونُسِئت المرأةُ: تأخَّر حيضُها عن وقته فرجي أنها حبلى. والنَّسِيئة: بيعُك الشَّيءَ نَسَاءً، وهو التَّأخير. ونَسأَ الله في أجلِك وأنسأ أجلك: أخَّره وأبعده.

• وفي معجم لسان العرب [2](لأبن منظور) (متوفى 711 هـ): قال: (نسأ): نُسئَت المرأة تنسأ نَسْأ: تأخَّر حيضها عن وقته، وبدأ حَمْلُهَا، فهي نَسءٌ، ونَسِيءٌ، والجَمْع أنساءٌ، ونسوءٌ، وقد يُقال: نِساءٌ نَسءٌ، على الصّفة بالمصدر.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 422.

(2) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 1، ص 166 – 168 .

ونسأ الشّيء ينسَؤُه نسأ، وأنسأه: أخَّره... والاسم النّسيئة والنّسيء. ولذلك قيل للبنِ: النّسيء لزيادة الماء فيه. وكذلك قيل: نسئت المرأة إذا حبلت، جُعلت زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللّبن.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ن – س – ء) فيزيائياً:

(ن): صوت يدل على ستر أو اختباء أو سكون.

(س): صوت يدل على حركة بشكل غير واضح وغير عميق أولي.

(ء): صوت خفيف يدل على ظهور مفاجئ في الزمان والمكان.

(نسء): لفظة تدل على حركة مستترة وساكنة، تكون غير واضحة وغير عميقة في بدايتها، تنتهي بظهور مفاجئ في الزمان والمكان.

وهذه الدلالة تتوافق مع ما تم ذكره في المعاجم.

إذاً؛ دلالة (النّسيء) تُطلق على التّأخير والزّيادة.

ولذلك قال تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ..(37)}(التوبة).

فهذه العملية هي تأخير أشهر الحُرمُ عن وقتها، وإضافتها إلى غير وقتها.

ولهذا السبب أصبح (النسيئُ) مناسباً لوصف الأنثى بلفظة (نِساء): وذلك لأنَّها قابلة للزيادة بالحمل والولادة. وكلمة نَساء ليست جمعاً وإنما هي مصدر.

فلفظة (نسئ) هي صفة مثل لفظة (رجل)؛ يمكن أن تُطلق على الذكور أو الإناث إذا تحققت أي صفة منهما على الذكر أو الأنثى.

قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (34) }(النساء).

وهنا قال الرجال ولم يقل الذكور، علينا أن ننتبه جيداً للألفاظ الواردة في التنزيل الحكيم. فلفظة (نِسَائِهِنَّ) جمع (نسيء) لا جمع (امرأة)؛ وهي تعني المستجد و المتأخر.

والنون فيها للتابعية، وليست نون النسوة، نحو قولنا: بيوتهنَّ، طعامهنَّ ...الخ، وترجع في النصّ إلى كلمة (للمؤمنات) في أول النصّ، ويقصد بها ما استجدَّ مُتأخَّراً في العلاقات الاجتماعية من الذُّكُور في حياة المرأة.

مثل: زوج البنت (الصهر)، ابن الابن، الأحفاد، حفيد الأخ وحفيد الأخت وحفيد الزوج... إلخ.

مفهوم (ملك اليمين) في النص

نستكمل تدبرنا للنص وما قاله النص عن الذين يمكن للمرأة أن تُبدي زينتها لهم، ولقد شرحنا جزءاً من النص وبقي الجزء الأخير منه.

قال تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ...(31) } (النور).

إن بحث (مُلك اليمين) يحتاج إلى دراسة مستقلة وخاصة، ولكني سوف أطرح تدبر المفهوم بما يناسب موضوع "إبداء الزينة للمرأة" كما تم ذكره في نص الآية السابقة.

لقد فُهم موضوع "ملك اليمين" على أنه لفظة تتحدث عن موضوع "الرق والعبيد والسبي"، وكل هذه المفاهيم قد أتت من التاريخ، ولم تأتِ في النص القرآني. وأنا أخالف هذا الفهم حيث أن النص القرآني قلنا: أنه يتعامل مع المفاهيم التي تعبر عبر الزمان والمكان، ويمكن لها تُفهم في أيّ عصر؛ لأن المفهوم يحافظ على دلالته ويطبق على الواقع بما يسمح له بذلك التطبيق للمفهوم.

إنَّ مسألة "ملك اليمين" لم ترد في كتاب الله تعالى إلا بالصيغة الفعليّة، وبالفعل الماضي حصراً: (مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ،

مَلَكَتْ أَيْمَانِكُم، مَلَكَتْ أَيْمَانَهُم، مَلَكَتْ يَمِينُكَ)...وفي هذا دليلُ على أنَّ المسألة تردُ في كتاب الله تعالى؛ لتصف حالات اجتماعيّة، يتمُّ إدراك صورتها عبر تدبّر السياق المحيط بكلّ عبارة من هذه العبارات...

والجذر اللساني العربي (مَلَكَ) تعني: "الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على قوةٍ في الشيء وصحّة"[1] .

والجذر اللساني العربي (يَمَنَ) يعني: "الياء والميم والنون: كلماتٌ من قياسٍ واحد. فاليَمين: يَمين اليَدِ. ويقال: اليَمِين: القُوَّة"[2] .

وللجذر اللساني (ي، م، ن) في النص القرآني عُمقان:

• عمقٌ مادّيٌ حسّي، بمعنى القوّة الخيّرة، حيث ترمز له اليدُ اليمنى... قال تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18) } (طه).

• عمقٌ معنوي، بمعنى العهد والميثاق الذي يُلزمُ الإنسانُ به نفسَه... قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ...(77) } (آل عمران).

• عمقٌ مادّيٌ حسّي، يكونُ فيه الإنسانُ فقيراً عاجزاً ماديّاً ولا يملك المؤهلات الماديّة والاجتماعيّة لإدارةِ شؤونِه وشقّ

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 351 – 352.

(2) نفس المرجع رقم (1)؛ ج 6 ، ص 158.

طريقه في الحياةِ، فيقعُ تحتَ ولايةِ إنسان، وتحت رعايته وتربيتِه وإشرافه، بحيث يُساعده في ذلك، ريثما يتمكّن من إدارةِ شؤونه المادّيّة ومن الاستقلالِ بذاتِه[1] ..

• عمقٌ معنويٌ، يكونُ فيه الإنسانُ واقعاً تحت الولاية الإرشاديّة والتربويّة والدينيّة، بحيث لا يملك منَ الوعي والرشد ما يُؤهلُهُ لقيادةِ نفسِه في المجتمع، أو يكونُ منتمياً إلى دينٍ آخر، ولكنّه تحت العلم والنظر والرعايةِ والإشراف، بحيث نملكُ تقييمَه ونملأ أيدينا منه ومن معرفةِ أخلاقِه وسلوكِه[2]..

فـ (ملك اليمين): في المجتمع هي الطبقة التابعة في أمور حياتها المعيشية للطبقة الفاعلة والقائدة، فهي طبقة لا تملك زمام أمور نفسها، وهي تعيش ضمن دائرة الطبقة الأقوى.

إذاً: (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ): هنا تعني العبارة: أولئك الذين نملكُ العلمَ فيهم والطمأنينة، من أنهم كشهوة وغريزة وميل للنساء، لا يختلفون عن الأطفال الذين لم يظهروا عل عورات النساء، ولا عن التابعين غير أولي الإربة من الرجال. وهم ما وقعوا تحت إشرافهن وترتبيتهنّ ومسؤوليتهن..

نستكمل باقي الحالات التي يمكن للمرأة فيها أن تُبدي زينتها المنهي عن إبدائها..

• { أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ }..

---

(1) عدنان الرفاعي، المعجزة الكبرى: معجزة إحدى الكبر، ط 3، دار الخير: دمشق – بيروت، 2009 م، ص 527.

(2) نفس المرجع رقم (1): ص 527.

هؤلاء الرجال يتبعون المذكورين أعلاه في الحكم وهو الرجال غير ذوي المأرب، أي الحاجة.

فلفظة (الْإِرْبَةِ) جاءت من الجذر اللساني (أرب)، وتعني: "الهمزة والراء والباء لها أربعةُ أصولٍ إليها ترجِع الفروع: وهي الحاجة، والعقل، والنَّصيب، والعَقْد"[1].

وتعني: "الأَرَب: فرط الحاجة المقتضي للإحتيال في دفعه، فكلُّ أربٍ حاجة... وقد أَرِبَ إلى كذا، أيّ: احتاج إليه حاجةً شديدة...

وقوله: { أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ } (النور: 31)، كنايةٌ عن الحاجة إلى النكاح" [2].

ومن هذا نستنج إلى أن: المرأة يمكن أن تُبدي زينتها المنهي عن إبدائها أمام بعض الرجال الذي يأخذون نفس حكم المحارم، وهم لهم وضعية خاصة حيث أنهم يكونون في وضع لا يحتاج فيه إلى النكاح بل الحاجة لإبداء تلك الزينة. وهذا ينطبق على الطبيب؛ فطبيب النساء عند الولادة يحتاج إلى أن تُبدي المرأة زينتها المخفية حيث يقوم بعملية الولادة لها، أو عند الكشف عليها وعمل الإشعة اللازمة.

• ثم يستكمل النص سرد من يمكن للمرأة أن تُبدي زينتها أمامهم فيقول النص: { أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ }..

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 89.

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 72.

فالطفل يكون غير مُدركٍ لأيّ شيء من الأمور التي قد تجعله يستثار جنسياً، فهو بالتأكيد لم يبلغ.

مفهوم (الضرب بالأرجل) في النص

ويختم النص كلامه بهذا المقطع من الآية:

{ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ }...

قلنا أن مفهوم الجذر (ضَرَبَ)؛ هو: إيقاع كتلة على كتلة لأجل التحديد والقياس أو من أجل نتيجة جديدة.

- <u>مفهوم (بِأَرْجُلِهِنَّ) في التنزيل الحكيم:</u>

دعونا ننظر إلى المعنى القرآني في لفظة (بِأَرْجُلِهِنَّ) فهي أتت من الجذر الثلاثي اللساني العربي (رَجَلَ)؛ وهذا الجذر ورد في التنزيل الحكيم حصراً (73 مرة) فقط. منها الألفاظ التالية: أَرْجُلٌ (1) أَرْجُلُهُم (1) أَرْجُلِكُم (1) أَرْجُلِهِم (2) الرِّجَالَ (3) الرِّجَالُ (1) الرِّجَالِ (3) بِأَرْجُلِهِنَّ (1) بِرِجَالٍ (1) بِرِجْلِكَ (1) رَجُلاً (7) رَجُلاَنِ (1) رَجُلٌ (8) رَجُلٍ (5) رَجُلَيْنِ (4) رِجَالاً (8) رِجَالٌ (6) رِجَالِكُم (2) رِجْلَيْنِ (1) فَرَجُلٌ (1) فَرِجَالاً (1) لِرَجُلٍ (2) لِلرِّجَالِ (2) وَأَرْجُلِهِنَّ (1) وَأَرْجُلَكُم (4) وَأَرْجُلُهُم (2) وَرَجُلاً (1) وَرَجِلِكَ (1) وَلِلرِّجَالِ (1) ..

وكلها تأتي في القرآن لتدل على معنى واحد لا يتغير مهما أتى في نص مغاير، ولكن يُطبّقُ معناه حسب نزوله في سياق الآيات وفقط.

وقد فهم الناس أن هذه اللفظة تُطلق على الذكور حصراً!... ولم يتعبوا أنفسهم لفهم ما أراد الله حيث أن الفهم السريع والسهل، يأتي على هوى الذكور بالتأكيد..

فيتم فهم النصوص حسب الهوى الذكوري لاضطهاد الأنثى في المجتمعات العربية بإسم الدين...

فدعونا ننظر إلى بعض المعاجم اللغوية لهذا الجذر ونرى ماذا قالوا عنه.

• في معجم مقاييس اللغة[1](لأبن فارس) (متوفى 395 هـ): قال:(رجل): الراء والجيم واللام أصل مُعظم بابِه يدلُّ على العضو الذي هو رِجْلُ كلَّ ذي رِجْل. والرَّجْل: الرَّجّالة. إنما سُمُّوا رَجْلاً لأنهم يمشون على أرجُلِهم. ورجلٌ رَجِيلٌ وذُو رُجْلَةٍ، أي قويٌّ على المَشْي. الرّجُل: الواحد من الرَّجال وربما قالوا للمرأة: الرَّجُلَة.

• وفي معجم لسان العرب[2](لأبن منظور) (متوفى 711 هـ): قال: وتَرَجَّلَتِ المرأَةُ: صارت كالرَّجُل. وفي الحديث: كانت عائشة، رَجُلة الرأي. وقد يكون الرَّجلُ صفة يعني بذلك الشدة والكمال. وقال سيبويه: إذا قلت هذا الرَّجُل؛ فقد يجوز أَن تعْني كماله وأن تريد كلّ رَجُل تكلَّم ومشى على رِجْلَيْن، فهو رَجُل. والرَّجْل: قَدَم الإنسان وغيره؛ والرَّجْل من أصل الفخذ إلى القدم. ارْتَجَل الرجلُ ارتجالاً إذا ركب رجليه في حاجته ومَضى.

• نأتي الآن لتحليل لفظة (ر– ج – ل) فيزيائياً:

(ر): صوت يدل على حركة سريعة منتظمة ومتكررة أو مرتبطة ومتصلة.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 492 – 493.

(2) محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج 11، ص 266 – 270.

(ج): صوت يدل على جهد و شدة وعلى الغلظة.

(ل): صوت يدل على حركة ثقيلة متصلة لازمة.

(رجل): لفظة تدل على حركة سريعة ومتكررة ومنتظمة، بها جهد وشدة غليظة، تنتهي بثقل متصل ومتلازم.

ومما تقدم يمكننا أن نقول أن لفظة (رجل): هي اسم صفة، وليست اسم جنس. يطلق على كل ما يحمل هذه الصفات المذكورة سابقاً.

ولذلك أُطلقت على أطراف البشر السفلى – ذكوراً وإناثاً – لفظة (أَرْجُل): لأنها تحمل الصفات السابق ذكرها، فهي تجعل الإنسان يتحرك في الأرض بشكل سريع ومتكرر ومنتظم، وبجهد شديد، ينتهي بالثقل واتصال الحركة.

وهي أيضاً تُطلق على الذكر والأنثى، كصفة شخصية يمكننا أن نقول لأنثى: أنها رجل والذكر كذلك. وهذا القول تدعمه الآية التالية: { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ...(27) } (الحج). والحج معروف أنه تكليف للذكر والأنثى معاً، والآية هنا أطلقت عليهما أنهما رجالاً.. وهذا يتوافق مع ما توصلنا له، من أن لفظة (رجل) هي اسم صفة تطلق على كل شيء يحمل الصفات السابق ذكرها.

فلفظة (رجل) كانت هي مفتاحنا لفهم المقطع التالي الذي نتدبره؛ { وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ }...

فالآية تنهى المرأة؛ أن لا تضرب – أي "تضع كتلة على كتلة، من أجلّ تحديدٍ وقياس، أو من أجلّ ترك أثرٍ ونتيجة جديدة في

الواقع" – ، بـ – أي "بواسطة حيث أن الباء هي باء الملابسة والواسطة" – ، رجلها – أي "أطرافها التي أخذت صفة (رجل) وليست صفة أخرى مثل (الساق) أو (القدم)، وهي الصفة التي تجعلها في حركة مستمرة ونشيطة بشكل متكرر به جهد شديد وينتهي بثقل متصل متلازم" – فإذا ضربت بأرجلها، سوف يُعلم ما تم إخفاؤه من الزينة.

وقلنا وحددنا في الفقرات السابقة أن الزينة المخفية؛ هي: فتحات (الجيوب)، "الفرج و الدُبر (المؤخرة) وما بين الثديين وما تحتها وما تحت الإبطين، هذه من الزينة المخفية، من جسد المرأة".

إذاً؛ النتيجة النهائية لفهم المعنى المقصود من هذا المقطع، { وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ }.. هو كالتالي:

الله قد نهى المرأةَ من أن تمارس أيَّ عمل في الحياة العامة؛ يترتَّب عليه إعلام الذكور تصوُّراً لحجم الزينة المَخْفيَّة.

مثالاً على ذلك؛ إذا عملت المرأة في الدعارة مثلاً، فهي بذلك قد أظهرت الزينة المخفية للذكور. فهذا العمل حرام في ذاته لأنه ممارسة للفاحشة والرذيلة في المجتمع بالإضافة أنه يجعلها تخلع ملابسها أمام الذكور فتُظهر بذلك الزينة المخفية.

أو إذا؛ عملت في ورشة ميكانيكا وهي ترتدي فستان مثل الذي عرضته لكم فهذا العمل فيه نشاط كثيف، فهي بذلك ضربت بأرجلها، وسوف يترتب على ذلك إعلام الذكور بالزينة المخفية. فيمكن وهي تكون تحت السيارة تُصلحها ينكشف

(فرجها) إذا نظر لها أحد، أو من كثرة الحركة قد يظهر (ثديها) دون قصد. فكل ذلك منهيٌّ عنه، إلا إذا تيقنت كل اليقين أنها لن تُعلم الذكور بزينتها المخفية لو عملت في ورشة ميكانيكا...

ومن الأعمال المنهيّ عنها كذلك؛ والتي يُعلم بها الزينة المخفية هي مهنة (الراقصة)، فهذا نشاط يجعلها تُظهر ما خُفي من زينتها. فأنا لا أحرم الرقص في ذاته فهو شيء لا مانع فيه، إنما إذا فُعل وحدث بسببه إعلام للزينة المخفية فهذا المنهيُّ عنه.

وكذلك؛ لبس المرأة للمايوه –ملابس السباحة– على الشواطئ العامة أمام الذكور. هذا أمر منهيٌّ عنه.

وقس على تلك الأمثلة، المهم أنه كما قلت لكم لا تمارس أيَّ عمل في الحياة العامة؛ يترتَّب عليه إعلام الذكور تصوُّراً لحجم الزينة المَخْفيَّة.

المراجع

1. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م.

2. محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر – بيروت.

3. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط 4، دار القلم – دمشق، 2009م.

4. محمد شحرور، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: فقه المرأة، ط 1، دار الأهالي: سورية – دمشق، 2000 م.

5. عدنان الرفاعي، المعجزة الكبرى: معجزة إحدى الكبر، ط 3، دار الخير: دمشق – بيروت، 2009 م.

6. أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 2006م، ج 15.

7. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، 1999 م، الجزء الأول، والسادس.

8. أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، المغني، تحقيق: د.عبد الله بن المحسن التركي و د.عبد الفتح محمد الحلو، ط 3، دار عالم الكتب – الرياض، 1997 م، ج 2.

الفهرس